اقرأ

سلسلة ثقافية شهرية

دكتور مرسي سعد الدين

حفيدتي .. وأنا

رحلة السنوات الست

اقرأ

[٦٠١]

رئيس التحرير: **رجب البنا**



دكتور مرسى سعد الدين

حفيدتى .. وأنا

رحلة السنوات الست



دار المعارف

إن الذين عنوا بإنشــاء هـذه السلسلة ونشرها ، لم يفكروا إلا فى شىء واحد ، هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة ، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العـربيـة . وأن ينتفعـوا ، وأن تـدعـوهـم هذه القـراءة إلى الاستزادة من الثقـافة ، والطموح إلى حياة عقليـة أرقى وأخصب من الحياة العقلية التى نحياهـا .

طـه حسين

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

مدخل

لا أدعى أن هذا كتابٌ علميٌّ .. لقد جاء أولا نتيجة لمراقبتى لحفيدتى وهى تكبر ، وهو إلى حد كبير تسجيل للنمو الذى مرت به منذ الولادة حتى سن الخامسة .. وهو أيضًا نتاج عمل مع الأطفال وزيارات لعدد كبير من البلدان التى تهتم بالأطفال .

وقد حاولت أن أضع ملاحظاتى نتيجة لمراقبة حفيدتى فى إطار القراءات العديدة التى قمت بها عن الأطفال ، وخاصة قبل بدء التعليم الرسمى أو فترة ما قبل المدرسة كما تسمى ، وعن تنمية حواسهم وإعدادهم لمواجهة العالم الذى سيعيشون فيه ، والمجتمع الذى سيتعايشون معه هذا بالإضافة إلى حضور عدد من المؤتمرات الخاصة بنمو الطفل واكتسابه المعرفة ، كان آخرها مؤتمرًا فى اليابان عنوانه « النمو المبكر للطفولة » .

وحين يكتب مؤلف عن موضوع ما ، فلابد أن يفكر أولا فى قرائه أو لمن يكتب ، وقد وجهت لنفسى هذا السؤال أكثر من مرة ، ليس فقط قبل التفكير فى الكتابة والبدء فى وضع الأفكار على الورق ، وإنما أيضًا فى أثناء عملية الكتابة نفسها . كنت أتوقف بعد كل

فصل ، بل وأحيانًا بعد كل فقرة لأسأل هل سأستطيع أن أصل إلى القارئ ؟ .

فمن هو هذا القارئ ؟ !! إنه الأب والأم ، وهما أكثر قربًا واقترابًا من الطفل عن أى شخص آخر ، ومعهما يقضى الطفل أطول فترة زمنية ، إنهما يعرفان طفلهما معرفة تامة ، فى نومه ، فى صحوه ، وهو عار أو مرتدٍ ملابسه ، وهو فى حمامه وعلى مائدة الطعام .. إنهما يعرفان الكلمات التى يعرفها ، والأشياء التى يتعرف عليها .. أقول إنهما يعرفان هذا وإن كان من الأصح أن أقول : يجب عليهما أن يعرفا هذا . ولكن هل فى استطاعتهما حقًا أن يتعرفا على عوائد وسلوك طفلهما أو أطفالهما ، هذا هو لب الموضوع .

إن الآباء – واللغة العربية هنا تعنى بلفظ (الآباء) الأب والأم – يأخذون أطفالهم كأمر مفروغ منه .. إنهم يسبغون عليهم من الحب أكثره ، ومن التدليل أكبره .. إن الأطفال بالنسبة إلى معظم الآباء ، ولا أقول كلهم ، جزء من حياتهم ، وعادة من عاداتهم .. يرونهم كل يوم يكبرون وينمون دون أن يحاولوا أن يعرفوا كيف ولماذا ومتى ؟ ..

إن الكثير من الآباء لا يحسُّون بهذه العملية الإلهية ، تلك المعجزة الخارقة معجزة نمو أطفالهم ، ولعل لهم العذر فى هذا ، لأن من يعيش مع أى نمو قد لا يلاحظه بقدر ما يلاحظه ، من هو بعيد عنه . فإذا نحن غبنا عن أطفالنا شهرًا مثلا ثم نشاهدهم لعرفنا فى

الحال أنهم كبروا ونموا ، بينما نحن إذا عشنا معهم كل يوم وكل ساعة فقد لا نلاحظ هذا النمو ، تماما إذا ما نحن عشنا مع زهور مثلا ، فقد لا نتعرف على مدى نموها ، ولكن إذا غبنا عنها فترة وعدنا لوجدنا البراعم قد تفتحت ، والفروع الضعيفة قد قويت وأصبحت نضرة للناظرين .

هذا الكتاب موجه للآباء ، وهو عن الطفل قبل أن تبدأ عملية وضعه في قالب مفصل ومحدد .. إنه عن الطفل فى بدء فترة انطلاقية وتلقائية تدوم منذ الولادة حتى يلتحق بالحضانة ، أى حتى سن الخامسة تقريبًا . إنها المرحلة الأولى من فترة ما يسمى بالتعليم الأولى أو الابتدائى حين يبدأ الطفل فى التعرف على ما حوله ، وفى اكتساب المعارف والقدرات دون قيود أو ضغوط ، أو هكذا يجب أن يكون .

وإنى لا أدعى أنى أقدم شيئًا علميًا ، فليس هناك عينة عشوائية كالتى تحتاج إليها البحوث ، بل إنه لا يتعدى كونه محاولة مخلصة نابعة عن حبى للأطفال متمثلا فى حفيدتى ، ونتاج لمراقبتى لها منذ الولادة .. ومن حسن الحظ أنى أسكن فى نفس العمارة ، وأسعد بها كل يوم ، ولأنى على المعاش لم أعد مقيدًا بأوقات مكتبية منتظمة ، مما أعطانى الفرصة أن أكون معها دائما .

وقد حاولت أن أرجع بملاحظاتى على ما تقوم به حفيدتى إلى المراجع العلمية ، وأعطى الشرح العلمى له دون أن أحاول أن أضع الملاحظة فى قوالب جاهزة ، كما يضع بعض أصحاب الأيديولوجيات ..

ومما حفزنى إلى هذا الاهتمام ، إحساس أن تربية أطفالنا تسير بطريقة عشوائية أقل ما يقال عنها أنها غير مدروسة أو واعية .. هناك محاولات عديدة جادة لوضع أسس ومفاهيم لتنمية الطفل ، وقد عقدت مؤتمرات عديدة لمناقشة أحسن السبل لتحقيق هذا ، ولكن لا توجد اهتمامات بتوجيه العاملين مع الأطفال سواء أكانوا الآباء أم المدرسين .

وقد يوجه البعض نقدًا لكثير مما جاء فى هذا الكتاب ، وإنى أرحب بهذا النقد ، خاصة إذا جاء نتيجة لتجارب محددة مع الأطفال ، وأود أن أؤكد أنى لم أجرؤ على إعداد هذا الكتاب إلا بعد العديد من اللقاءات والمناقشات مع أخصائيين ومتخصصين ..

الكتاب إذن ليس تأليفًا بقدر ما هو تسجيل للملاحظات ثم تنسيق للآراء والأفكار العديدة التى قد يبدو بعضها متناقضًا ، ولكن هكذا الحياة مليئة بالمتناقضات .

الطفولة قبل كل شيء

يصل الطفل إلى هذا العالم وهو على استعداد كامل للتعلم ، بل إن هناك بعض النظريات التى تقول : إن الطفل يتعلم بعض الأسس الضرورية وهو لا يزال فى بطن أمه ، ويفرق علماء النفس بين نوعين من التعلم الابتدائى والثانوى .. التعلم الابتدائى يأتى عن طريق البديهة والتقليد أو المحاكاة ، دون أن تصحبهما عملية تفكير أو مجهود ذهنى ، وهذا هو النوع الوحيد الذى يقدر عليه الطفل فى هذه السن ، ولكنه فى نفس الوقت يترك آثارًا دائمة فى نفس الطفل ، بل إن النشاطات الذهنية المستقبلة مبنية أساسًا على هذه الفترة التلقائية .

وأول هذه الحركات هى ابتسامة الطفل ، وإنى لأذكر أول مرة ابتسمت لى حفيدتى ، وكانت لم تتعد أسابيع عديدة . لقد اعتقدت آنذاك أنها تخصنى بالابتسامة ، ولكن سرعان ما وجدت أنها توجهها إلى الجميع .. وحين جاء الطبيب عرفت منه أن هذه الابتسامة ليست أكثر من حركة عضلية من جانب حفيدتى ، وأنها لا ترتبط بأى مؤثر خارجى ، وإنما هى مجرد انعكاس لنوع من الإحساس الداخلى للطفل ، ولكن بمرور الوقت يتحول هذا التعبير العضلى إلى عملية مقصودة ، وذلك إذا وجد الطفل تجاوبًا من الأب أو الأم أو الاثنين معًا . فإذا ابتسم الأب أو ابتسمت الأم ، فإن الطفل سرعان ما يتعلم

أن يتجاوب مع الابتسامة ويرد عليها بابتسامة أخرى ، ويكون هذا أول عمل يتشارك فيه الطفل مع الكبار .

وبعد مرحلة الابتسامة يبدأ الطفل فى إحداث أصوات معينة تبدأ بالصريخ عند الولادة وينتهى بالكلام .. ونحن نعرف أن الكلام من أهم القدرات الأولية التى يتعلمها الطفل . وحين يبدأ الطفل فى الصراخ ، فهو يفعل ذلك دون غرض معين ، ولكن سرعان ما يصبح لذلك الصراخ معانٍ لا يعرفها إلا الآباء ، أو من هم حول الطفل .

وقد مرت حفيدتى بهذه المراحل المختلفة ومنها : القهقهة والهديل والصراخ العالى ، ثم إخراج بعض التكوينات اللغوية غير المقصودة ، وعلى الرغم من أنها غير مقصودة إلا أن الآباء يأخذونها بمأخذ جاد . وعلى سبيل المثال من الكلمات الأولى التى يتكلمها الطفل ، أو بمعنى أصح من الأصوات الأولى كلمتى « دادا » — « ماما .. » إن جميع الآباء يعتقدون أن الطفل ينادى عليهما ولكنها فى بادئ الأمر ليست أكثر من مجرد انطلاق لغوى ، ولسبب رد فعل الأم والأب حين ينطق طفلهما بهذين التعبيرين تبدأ فى الارتباط بمعنى محدد هو « الأب والأم » ويكون هذا هو أول عملية اتصال إنسانى .

وتتميز هذه الفترة الأولية بميل الطفل إلى التقليد ، وعن طريقه يتعلم أشياء عديدة ، وحين يقلد الطفل عملا أو حركة ما فإنه لا يعرف مكنون ما يفعل ولا يعرف المعنى المختفى وراء العملية ، وقد كان الطفل فى الماضى يقلد آباءه وبعض الأقارب الذين يحيطون به ، أما الآن وبعد ظهور التليفزيون فقد أصبح فى إمكانية الطفل أن يقلد عشرات من الشخصيات التى تظهر فى التليفزيون .

وهنا أود أن أذكر تجربتى مع حفيدتى ومع هذا الجهاز السحرى الذي ينقل العالم إلى الطفل ، لقد أجريت تجارب عديدة حول تأثير التليفزيون على الطفل ، ولم تأت هذه التجارب بأية آراء مؤكدة ، ولكن من تجربتى مع حفيدتى أستطيع أن أقول : إن مشاهدة التليفزيون - وهى مغرمة به تماما - ساعدت على توسيع مداركها إلى درجة مخيفة ، وأصبحت تقلد معظم من يظهرون فى التليفزيون ، وخاصة فى إطار الموسيقى والرقص ، فقد حفظتْ عددًا من الأغانى الوطنيةَ وأهمها (بلادى بلادى) ونشيد (الأرض) وأخيرًا (مصر اليوم فى عيد) ، كما أنها تقلد حركات الرقص الشعبى ، سواء فرقة رضا أو الفرقة الشعبية ، بطريقة تكاد تكون مطابقة لحركات الراقصين المحترفين ، وحين شاهدت شادية تغنى (مصر اليوم فى عيد) ، كانت تقلدها - بعد أن حفظت الأغنية - فى كل حركاتها بما فى ذلك حركة شعرها التى كتب عنها النقاد .

والموسيقى هامة جدًا فى هذه المرحلة المبكرة .. وتجربتى مع حفيدتى هى اهتمامها بالموسيقى إلى درجة أنها مهما كانت تفعل بمجرد أن تسمع الموسيقى ، سواء فى الراديو أو التليفزيون ، فهى تترك كل ما فى يدها ، وتبدأ فى الرقص على النغم المعزوف .

وهذا يثبت نظرية أبوكا اليابانى من أن الطفل وهو لم يبلغ الشهر الخامس فى استطاعته أن يحب ويميز ويستمتع بقطعة موسيقية ما حتى ولو كانت من الموسيقى الكلاسيكية . بل وأكثر من هذا أن الطفل يمكن وهو فى سن الثانية من عمره أن يطلب قطعًا موسيقية معينة ..

وحفيدتى ، على سبيل المثال ، تطلب بالاسم الأغانى التى تحبها والتى ذكرتها بالإضافة إلى أغنية « دبدوبة التخينة » وهى دائما تصاحب هذه الأغانى برقصات إيقاعية ممتازة متمشية مع الموسيقى تماما ، ولها تقليد غريب لما شاهدته من رقصات .

وكما قلت : إن هذه الفترة من أكثر مراحل الطفل اتجاهًا إلى التقليد والقدرة فعلا على التقليد ، إن ما يتعلمه الطفل فى هذه المرحلة يبقى مع الطفل حتى يصبح بالغًا ، وهو يبقى معه ليس كمجرد ذكريات عن الماضى وإنما كانطباعات ثابتة ، يحدث كل هذا فى المرحلة الأولى التى تنتهى فى سن ٩ أو ١٠ سنوات ، حين يبدأ ما يسمى بالتعليم الثانوى وهو لا يهمنا هنا ، وإن كان لابد أن نذكر أنه يرتبط ارتباطًا عضويا بما نحن نحاول أن نحققه .

إن الطفولة هى أكثر فترات التلقى والحساسية والقدرة على التقليد ، إن ما نتعلمه كأطفال سيبقى معنا طوال حياتنا ، ليس كمجرد ذكريات ، وإنما كانطباعات تؤثر على تشكيلنا . وفى هذه المرحلة يلعب الأب والأم - وخاصة الأم - دورًا هامًا ، فهما أكثر قربًا واقترابًا من طفلهما من أى شخص آخر ، ومعهما يقضى الطفل أطول فترة زمنية ، إنهما يعرفان طفلهما معرفة تامة ، فى نومه وفى صحوه ، وهو مرتدى ملابسه وبدونها ، وهو فى حمامه وعلى مائدة الطعام ، إنهما يعرفان الكلمات التى يعرفها ، والأشياء التى يتعرف عليها . أقول إنهما يعرفان هذا وإن كان من الأصح أن أقول يجب عليهما أن يعرفا هذا .

عملية النمو

لقد أثبتت بحوث التربية والطب أن الطفل يمر فى سنواته الأولى بمراحل نمو واستيعاب للمعرفة بتعمق لا يصل إليه بعد ذلك ، وأن السنوات من الولادة إلى سن الخامسة هى التى ينمو فيها الطفل فكريا ومن ناحية قدراته الخلاقة .. ففى هذه الفترة يبدأ المخ فى النمو ، وفى مد فروع تربطه بجميع الخلايا العصبية . وتبدأ هذه العملية بعد الولادة مباشرة وبسرعة عالية فى الشهور الستة الأولى التى يتضاعف فيها وزن المخ ، وحين يصل الطفل إلى سن الثالثة يكون نمو المخ قد وصل إلى ٦٠٪ من تكوين البالغ ، وحين يصل الطفل إلى سن الثامنة أو التاسعة يصل إلى ٩٥٪ من البالغين .

ونحن نعرف أن حركات الحيوانات المستقلة تبدأ بعد أيام أو ساعات من ولادتها .. وصغار القردة مثلا تستطيع أن تقوم بحركات القردة البالغة بعد أسبوع واحد من ولادتها .. والعديد من الحيوانات تبدأ المشى بمجرد ولادتها . ولكن مخ الطفل المولود لا يستطيع أن يستوعب الحياة أو يتعامل معها بهذه السرعة .

إن التعليم الذى يتلقاه الطفل عن طريق الدوافع الخارجية فى السنوات الأولى هى التى تقرر إلى حد كبير المستويات التى يصل إليها الطفل فيما بعد ، إن جميع الدوافع والإثارات الخارجية

الموجودة في بيئة الطفل هي من العوامل التي تحدد إمكانيات الطفل المستقبلية .

وحين يولد الطفل فإنه يمتلك جميع خلايا المخ وعددها ١٤ بليون خلية .. وهذه الخلايا وإن كانت موجودة إلا أنها لم ترتبط ببعضها بعد ، ولكن بعد فترة وجيزة من الولادة ، وبسبب دوافع تبدأ الخلايا في الارتباط ببعضها ، ويبدأ المخ في القيام بوظيفته في نواح مختلفة ، وهذا يشبه الكومبيوتر الذي يحتوي على ١٤ بليون ترانزيستور لم يتم ربطها بعد في شبكة واحدة ، وبعض الحيوانات تولد بشبكة مخية جاهزة .

ونظام التعليم في العالم كله أساسه تعليم من تمَّ نمو أمخاخهم ، ويرى علماء الطفولة أنه من الضروري تغذية هذه الخلايا أثناء عملية الربط بين الخلايا ، أي أنه لا يجب أن ننتظر ارتباط الخلايا لكي نبدأ عملية التعليم ، ويرى أبوكا مثلا أنه لابد من تغذية مخ الطفل بالمعلومات في هذه المرحلة الأولى ، بينما يكون الطفل في رعاية الأم .. وقد أثبتت بعض البحوث التي قدمتها أمهات في اليابان مثلا أن الطفل في شهره الرابع يمكنه التعرف على بعض القطع الموسيقية والاستمتاع بها .

والسبب في هذا هو أن الموسيقى تساعد على تنمية هذه الشبكة ، وبمجرد أن تنمو فإن الموسيقى تصبح مسرة للطفل ، ويصبح في قدرة مخ الطفل أن يتلقى أية تأثيرات خارجية بدون أية مقاومة ،

بشرط أن تتكرر هذه التأثيرات .. ومن ثم فإن هذه التأثيرات تبدأ في إدخال السرور إلى نفس الطفل .

وبنفس الطريقة نجد أن الطفل يشاهد وجه أمه كل يوم ، وما إن تمر خمسة شهور حتى يستطيع أن يتعرف عليه ، وإذا نحن فكرنا في هذا لوجدناه نوعًا من المعجزة ، إذ تعرف الطفل على وجه أمه يعد خطوة كبيرة في نموه ، وهذا يعني أن تنمية ذهن الطفل يعتمد على التأثيرات الخارجية ، وإلا لكان الارتباط في خلاياه بدأ وهو في داخل أمه ، وإذا عزل الطفل عن التأثيرات الخارجية لمدة سنتين فإنه سيصبح بلا قدرة على رد الفعل أو التعلم .. ومن ثم فإن ما يحبه الطفل وما يكرهه لا يولد بها الطفل ، وإنما تتكون بعد الولادة عن طريق تكرار التأثيرات الخارجية ، وهذه هي التي تساعد على تحديد شخصية الفرد .. ويبدأ الطفل في استساغة أشياء تتكرر له في طفولته .. ولذلك فلكي ننمي الخلق الحسن في الطفل يجب أن نحيطه بتأثيرات إيجابية منذ شهوره الأولى ، ولا شك في أن خلق بيئة حول الطفل تساعده على أن يحب ما هو خير ويكره ما هو ضار من الأمور المهمة ..

ويصف المتخصصون الفترة من ولادة الطفل حتى سن الثالثة « سن الأنماط » ففي هذه الفترة يتلقى الطفل وحدات متكاملة من التأثيرات ليست في صورة تحليلية ، وإنما في شكل أنماط متكاملة . وعلى سبيل المثال : إذا تعرض الطفل لنفس الموسيقى لمدة شهور متوالية أو أن يشاهد وجه أمه بصورة منتظمة ، فإنه يستطيع أن يتعرف على الموسيقى وعلى وجه أمه ككل وليس كأجزاء منفصلة ، والطفل

لا يفكر فى اللغة مثلا كحروف أبجدية أو هجاء أو جمل ، ولكنه يفكر فيما يقال ككل متكامل ، ونحن نرى مثلا كيف يتعرف الطفل على عدد كبير من نماذج السيارات على الرغم من تعدد هذه النماذج ، أو سهولة تعرف الأطفال على أعلام الدول .. وحين يصل الطفل إلى سن السابعة أو الثامنة فإنه يبدأ فى الحفظ واستعمال المنطق ومن ثم تبدأ صعوباته ..

وحين يبدأ الطفل فى تكلم لغته فإنه يتعلمها عن طريق أنماط صوتية ، وقد أثبت علماء اليابان مثلا أنه من السهل تعليم الأطفال فى سن مبكرة جدًّا اللغات الأجنبية عن طريق تكرار أنماط صوتية ، بل إنهم استطاعوا أن يقضوا على بعض عيوب نطق اللغة الإنجليزية عن طريق جهاز صغير يكرر الأنماط الصوتية للطفل . وحتى حين يتوقف الطفل عن تعلم الإنجليزية فإن الأنماط تبقى فى ذهنه ، وهذا يختلف عن تعلم الكبار ، فإذا تعلم الفرد لغة من طفولته فإنه يستطيع أن يستوعب هذه الأنماط ، ومن ثم يمكنه فى مرحلة الطفولة أن يتعلم أكثر من لغة .

وبمثل الطريقة التى يتعلم بها الطفل التعرف على الكلام والموسيقى والأنماط الأخرى ، فإن فى استطاعته أن يتعلم الأخلاقيات ويبنى شخصيته ، وذلك عن طريق تكرار أنماط معينة ، وإذا استطعنا أن نقدم للطفل بصفة مستمرة ومتكررة إثارات أخلاقية ، فإن هذه القيم سيمتصها وتنمو معه حتى يصبح بالغًا . ولأن الطفل يبدأ استيعابه للأشياء فى هذه السن المبكرة ، فإن دور الأم على غاية من الأهمية ،

إذ عليهن تقع مهمة مساعدة أطفالهن على النمو بالطريقة المناسبة ، وهذا ينطبق على نمو الشخصية والقدرات والفكر ، والأم وحدها هى التى تستطيع أن تخدم طفلها فى هذه المرحلة .

وقد أثبت د . بلوم فى جامعة شيكاجو عن طريق أبحاث على ألف حالة أن كل صفة إنسانية تنمو بطريقة فريدة . ووجد أن النمو الذهنى مثلا والنمو الفكرى يصل إلى نصفه فى سن الرابعة ، بينما يتم النصف الآخر من سن أربعة إلى سبعة عشر ، وبعد سن الرابعة قد يكون من السهل تغيير طريقة النمو ، ولكن بمرور السنوات تصعب هذه العملية ، ولعل من أكثر العمليات ضررًا أن نحاول فرض أحكامنا على الأطفال على أساس أننا نشعر حين يكون الطفل مستعدًا للاستيعاب ، ونحن بذلك ننسى أن مفهوم ما هو سهل أو صَعْبٌ لدينا مختلف عن مفهوم الطفل .. إن الطفل يتمتع بتفتح لكل ما هو جديد مما يساعده على الاهتمام بالمعلومات واستيعابها من أشياء قد نرى أنها لا تهمه أو أنها أعلى من فهمه . ولما كان الطفل غير مكبل بآراء جاهزة فإن فى استطاعته أن يهتم بأى شيء يثيره أو يقترب من حواسه . وقد لا يرى الطفل الأشياء كما نراها أو يعالجها بطريقة معالجتنا لها ، إلا أنه يتعلم عن طريق حب الاستطلاع ، ولذلك فلا يجب أن نحدد أو نضيق المناطق التى يستكشف بها ، فحين نفعل هذا ، فإننا نضيق ونحدد إمكانيات نمو الطفل .

وقد أثبت علماء اليابان مثلا أن صغار الأطفال فى استطاعتهم تعلم الحروف الصينية ، وذلك لأن الطفل يتعلم عن طريق الأنماط

مهما كانت هذه الأنماط معقدة ، وأثبتت عالمة فرنسية مثلاً أن الطفل يستطيع أن يتعلم نظرية المجاميع والمصفوفات عن طريق ألعاب البناء وفصل المربعات عن المثلثات .

إن قدرة الطفل على الاستيعاب خلال السنوات الأولى لاحد لها ، ولا يجب أن نفرض على الطفل أن يفهم شيئًا ، وكل ما يجب أن نفعله هو أن نوفر له التأثيرات ، فالطفل سيستوعب الأشياء حتى درجة التشبع ، وحينئذ سيتوقف عن قبول المزيد من المعلومات ، ولا يجب أن نقلق بسبب تقديم تأثيرات عديدة للطفل ، بل يجب أن نقدم له دائما المزيد وهو سيقرر بنفسه متى يتوقف عن قبولها ، ولا يجب أن نقرر نحن ما هو صعب على الطفل .

وهناك أشياء هامة يجب أن ينقلها الطفل لكى يصبح طبيعيا وأولها اللغة ، وقد أجريت تجارب عديدة فى كندا حيث تستعمل اللغتان الإنجليزية والفرنسية .. ولكن اللغة التى يتعلمها الطفل هى التى تصبح بعد ذلك لغته الأساسية أو الأولى .. أما اللغات التى يتعلمها الفرد بعد ذلك فلن تكون خالية من مشاكل النطق مثلا . ويرى بعض العلماء أن التأثيرات التى يتلقاها الطفل فى سنواته الأولى تلعب دورًا هامًّا فى التأثير على نمو الطفل ، وقد يزيد هذا الدور على الوراثة نفسها .. وقد أثبتت الدراسات فى اليابان أن التوائم قد يختلفان تماما عن بعضهما إذا هما تربيا فى بيئتين مختلفتين .. وهذا يثبت أهمية البيئة التى يتربى فيها الطفل ، والتى عن طريقها يمكن إثارة اهتماماته العديدة فى داخله ، ولهذا فإن دور الكبار هام جدًّا ، إذ

فى استطاعتهم أن يخلقوا بيئات حول الطفل مليئة بالإثارات ، لكى تواجه تفتح الطفل وحب استطلاعه ، وهذا يعطى أهمية خاصة لدور الوالدين وخاصة الأم .

ولهذا السبب نجد اهتمامًا كبيرًا فى بعض الدول بجمعيات الأمهات ، وقد شاهدت تجربة فريدة فى اليابان حيث يوجد الآن عشرات من هذه الجمعيات تابعة لهيئة النمو المبكر ، فقد بدأت الهيئة بنشر إعلانات فى الصحافة تطالب السيدات فى الشهر الثانى من الحمل للاتصال بها للقيام بمشروعات تهمهن .. وتقدمت للإعلان ألف أم تمَّ اختيار خمسة عشر منهنّ ليكنَّ بذرة برنامج « بحوث الأم » الذى تبنته ونظمته الهيئة أيضًا ، وهو برنامج خاص بالأطفال وآبائهم وأمهاتهم أسمته « جماعات المشى » وفيه تدعو الأطفال وآباءهم وأمهاتهم إلى الخروج فى نزهات سيرًا على الأقدام ، وبهذه الطريقة يستفيد الجميع من الهواء الطلق ، وفى نفس الوقت تعطى فرصة للأطفال مع ذويهم للمشاركة فى الاستمتاع بالطبيعة ، وفى نفس الوقت بتنمية علاقاتهم ببعضهم ، كما أن المشى يعطيهم الفرصة على إضافة معلومات جديدة لمخزونهم الذى يكاد يشبه الكومبيوتر .

إن مراقبة الطفل عملية مهمة لأجل فهمه وتفهم مراحل نموه ، إذ أن سلوك الطفل التلقائى يحتوى على معان عديدة ، وحتى قبل أن يبدأ الطفل فى الكلام فإن رد فعله للأحداث ولما يدور حوله يحمل معه معان كثيرة ، وبعد أن يبدأ فى الكلام فإنه سيستطيع أن يعطى رد الفعل هذا منطوقات لغوية . ويميل الآباء إلى إعطاء صفات

عامة جامعة للأطفال ، فيقولون مثلاً إن « طفلنا عنيد » دون محاولة معرفة الأسباب التى تدعوه إلى رفض شىء مّا أو مقاومته .

ولعل السبب فى موقف الآباء هو أننا كبشر لنا تحيزاتنا ومفاهيمنا وفهمنا للأمور ، ونحن نحاول أن نطبق هذه التحيزات والمفاهيم على الطفل ، بالإضافة إلى أن هذه قد تختلف من أم إلى أم ، ومن أب إلى أب ، وما يراه والدان صوابًا قد يراه آخران خطأً . ومن ثم فإن على الآباء — وخاصة الأم — أن تحاول أن تفهم ما يسمى « لغة السلوك » أى سلوك الطفل ، إذْ أن كل حركة وكل إيماءة من الطفل لها معنى لديه يجب على الأم أن تفهمه ، فالطفل يعلم نفسه ، وجسمه هو الأداة الأولى لهذا التعلم ، ولكن هذا لا يعنى أن ذهن الطفل لا يعمل ، فهو يعمل طوال الوقت ولكن الطفل لديه القدرة على تعلم شىء واحد فى وقت واحد .

وقد استطعت أن أراقب حفيدتى فى نموها منذ ولادتها حتى عامها الخامس ، ويتميز العام الأول بالنمو السريع وبما يسمى الإنجازات ، فالطفل حين يولد يعتمد اعتمادًا كاملا على الآخرين ، ولكنه فى نفس الوقت لا يهتم إلا بنفسه ، وخلال هذا العام يبدأ فى أن يعرف أن هناك علاقات ما بينه وبين الآخرين ، ومن ثم تبدأ عملية الاتصال والاستيعاب . وأول قدرة يعكسها الطفل فى سنته الأولى هى الربط بين ما تشاهده عيناه وبين ما تفعله يداه ، فنراه يرفع أى شىء بيده ويتابعه بنظره ، وفى هذه المرحلة يتعرف الطفل على جسمه وخاصة يديه وقدميه لسهولة تحريكها ونلاحظ ، كما لاحظت مع حفيدتى كثرة نظرها إلى يديها واللعب بقدميها .

إن الطفل يولد ولديه القدرة الإعجازية على التعلم ، ومرحلته الأولى هي مرحلة عضلية أساسها تحريك اليدين والرجلين والجذع والجلوس ، ومن المعروف أنه بعد ثمانية أو عشرة أسابيع يستطيع الطفل أن يستعمل عضلاته ، فيضع يده فى فمه أو يمسك بقدمه ويحاول أن يضعها فى فمه ، وهذه هى أول خطوة فى طريق المعرفة ، معرفة استعمال الأيدى والأقدام . تأتى بعد ذلك الخطوة الثانية وهى معرفة الأشياء الموجودة حوله ، وقد لاحظت - وتؤيدنى كتب سيكولوجية الطفل - أن الألوان الزاهية هى أول ما تشد انتباه الطفل . وتبدأ مرحلة التنسيق بين النظر والعمل ، ويميل الطفل إلى وضع كل شىء فى فمه ، إن هذا الربط بين العين واليد والفم يعد خطوة عامة فى نمو الطفل لم يعلمها له أحد ، بل عرفها بنفسه .

ومن المعروف أنه بعد شهرين أو ثلاثة شهور ، تبدأ العلاقة بين الطفل وأمه ، وتتوثق هذه العلاقة بمرور الأيام . والطفل يتقبل من أمه ما لا يتقبله من الآخرين ، وعلى الرغم من ارتباطى الوثيق بحفيدتى من لحظة ولادتها .. إلا أن علاقتها بأمها كانت دائما فى المقدمة ، وليست هذه العلاقة بسبب حب الطفل لأمه أو العكس ، وإنما لوجود نوع من الثقة الطبيعية .

وأود هنا أن أتحدث عن دور الأم فى تربية الطفل ونموه وخاصة فى المراحل الأولى . فالطفل يرى وجه أمه كل يوم ولساعات طويلة ، ومن المعروف أنه بعد خمسة شهور فى استطاعته التعرف على وجهها الذى يصبح له معنى بالنسبة إليه . وتعرف الطفل على وجه أمه يعد

خطوة هامة فى طريق نموه ، إذ أنه يعنى أن الموجات الذهنية للطفل قد بدأت تصل ، ومنذ هذه اللحظة تصبح الأم هى الوسيلة الأولى لتعلم الطفل ونموه ، وهذا يضع على عاتقها مسئولية كبرى ، إذ بقدر فهمها لطفلها وتفهمه وبقدر معرفتها وعلمها سيتشكل الطفل ويكبر .

إن ابتسامة الطفل لأمه ، وخوفه من الغرباء هى دليل على نمو الإحساس بالأمن فى داخله . وهذا يعنى أن الطفل فى مراحله الأولى فى حاجة إلى شخص يتعود عليه ، وهناك بحوث عديدة تثبت ذلك .

ويصف د . إدوارد روزنبرج بحثًا قام به فى إحدى بيوت الأيتام أثبت به أهمية هذه العلاقة . ففى هذا البيت الذى يعد نموذجيًا على كل المستويات ، فالبناء جميل ويقع فى وسط حدائق غناء ، ويقوم بالإشراف فيه مجموعة من الممرضات المتخصصات اللاتى يبذلن أقصى جهودهن فى رعاية الأطفال ، ولكن بسبب التغيير المستمر للممرضات ، فإن الأطفال افتقدوا صورة الأم التى ينتمون إليها ، وقد أظهر البحث أن بعض الأطفال من سن ستة شهور إلى سنة لم يتقدموا جسمانيًا مثل نظرائهم الذين يعيشون مع أمهاتهم . وخرج د . روزنبرج من هذا على أن الحب وحده لا يكفى ، فالطفل يتعرف على العالم الذى حوله بالوسيلة الوحيدة التى يعرفها وأولها الأم ، إنه فى حاجة إلى أم ، وبمجرد أن يجد الطفل الأم فإنه يجد الأمان ومن بعده يكون على استعداد لأن يوسع من دائرة من حوله من الآدميين ..

وقد لاحظت ذلك فى حفيدتى ، فحتى سنتها الأولى لم تكن تنظر إلا إلى أمها ، وكانت لا تطيق البعد عنها ، ولكن بعد ذلك

وبعد أن اطمأنت من الوجود الدائم لأمها بدأت تنظر إلى الآخرين وبدأ ارتباطها بهم يزيد ، وإن كان لم يصل إلى ارتباطها بأمها ، كانت تترك أمها لتلعب معى أو مع الآخرين ، ولكن بمجرد أن تشعر بالجوع أو بالرغبة فى النوم ، ومهما كانت السعادة التى تعيشها معى أو مع أطفال آخرين أو بين لعبها المفضلة ، فإنها كانت دائما تطلب أمها .

والواقع أن دور الأم هو أساس نمو الطفل ، والأم الواعية هى التى تحاول أن تتعلم من طفلها منذ اليوم الأول من ولادته ، فتعرف أن صراخه يعنى أن ثمة شىء يريده ، وبعد ذلك يجب أن نتعلم كيف نفرق بين أنواع الصراخ المختلفة ، وذلك عن طريق توقيت الصراخ أو ظروفه ، وكذلك من طبيعة ذلك الصراخ ، والواقع أن الطفل يبدأ فى تكوين عادات سلوكية تعطينا معلومات كثيرة عن تقدمه ونموه ، كما أن أى تغيير مفاجئ لهذه العادات يعنى أن هناك شيئًا ما قد أقلقه ، أوأنه على استعداد للانتقال إلى مرحلة جديدة .

ومن المهم ملاحظة النمو الجسمانى للطفل ولكن دون محاولة للتدخل فيه ، فمثلا يبدأ الطفل يحبو من الشهر السادس حتى الثانى عشر ، وفى استطاعته أن يجلس ما بين الشهر السابع والثامن ، ثم تبدأ محاولات المشى من الشهر التاسع حتى ما بعد العام الأول ، بل إن بعض الأطفال لا يبدأ فى المشى حتى الشهر الخامس عشر . وقد أجمع أخصائيو الأطفال على ضرورة ترك الطفل ينمو دون دفعه إلى أية من هذه الخطوات ، وألا تحاول الأم أو الأب أن تعلم الطفل

كيف يحبو أو يجلس أو يمشى ، إذ بهذا نأخذ منه مسرة المعرفة . وإذا دقق الآباء – كما فعلت مع حفيدتى – فى أطفالهم بعد كل مرحلة من هذه المراحل لاحظوا السعادة التى يعكسها الطفل بعد أية من هذه الإنجازات ..

وعن طريق الملاحظة والمراقبة تتعلم الأم من طفلها منذ ولادته على أنواع بكاء الطفل ، وكيف أنه لكل نوع سبب ، فالبكاء هو وسيلة اتصال يخبربها الطفل أمه أو من يشرف عليه برغباته المختلفة ، فهناك بكاء الجوع وبكاء الابتلال وبكاء الألم . كل له طبيعته وله تموجاته ، وعلى الأم أن تتعرفها لتستطيع معالجتها . والنصيحة التى يوجهها علماء الطفولة هى ألا يتعجل الآباء فى تعليم الطفل . فالطفل سيشعرنا حين يكون مستعدًّا وستنعكس السعادة حين يتعلم شيئًا جديدًا ، وتزيد هذه السعادة حين يشعر الطفل أنه أسعد أبويه .

ويعد حب الاستطلاع من أهم دوافع الطفل للمعرفة .. وهو دافع صحى يجب أن نشجعه ولا نقف فى طريقه . فمثلا الطفل يُحبُّ قطع الورق ولعله بسبب صوت القطع أو إحساسه بالملمس ، ومهما حَاوَلْنَا منعه من هذا فإنه سيستمر فى تقطيع الورق . والسؤال هو : هل ستستمر الأم أو الأب فى تكرار كلمة « لا » أم سيحاولان إخفاء الأوراق منه ؟ .. كلمة « لا » قد تؤدى إلى زوال حب الاستطلاع من الطفل ، والحل المثالى كما فعلت مع حفيدتى هو تحويل هذه العادة إلى عمل خلاق .

إن حب الاستطلاع هو ميزة الطفل وطريقه إلى المعرفة ، فهو يريد أن يرى ويتذوق ويسمع ويشعر ، ويبدأ فى اختبار حدود عالمه الصغير ، ونحن حين نشجعه على تنمية حب الاستطلاع فنحن نشحذ له سلاحًا ينفعه مدى الحياة بشكل أو آخر .

والطفل يشعر دائما برغبة فى سماع كلمات الاستحسان من الآخرين ، وذلك طبعًا بَعْدَمَا يشعر بوجودهم .. والتعبير عن الإعجاب مما يفعله الطفل من جانب الآباء أو الكبار يشكل دافعًا للطفل لزيادة تعلمه . وللطفل احتياجات دائمة يريد إرضاءها ، احتياجات عاطفية وهى الحب والاهتمام والاستحسان ، وإنى أذكر مثلا حين بدأت حفيدتى فى الوقوف والقفز وهى ممسكة بجوانب سريرها أنها كانت تنظر إلينا وتقول « قول برافو » ، وهذه الدوافع المختلفة تنمو مع الطفل السوى ما دامت لا توجد أية عوائق .

ولكن إذا أردنا من الطفل أن ينمى هذه الدوافع فعلينا أن نساعده على خلق شعور بالأمان والطمأنينة .. الأمان الجسمانى والأمان العاطفى والحماية ضد المجهول وضد الإحباط والتوتر ، ومن ثم هناك اتجاه بين علماء سيكولوجية الطفل بضرورة نوم الطفل مع والديه من حين إلى آخر ، إذ أن حرارة البقاء معهما تعطيه نوعًا من الحماية التى يسعى إليها .

وإذا كانت هناك نصيحة توجه إلى الآباء هى ضرورة فَهْمِ الطفل ومعرفة طريقة التعامل معه كما هو وليس كما نريده أن يكون . يجب

أن نوفر للطفل حرية الاستكشاف ، وفى نفس الوقت نقدر أن حرية الاستكشاف تعنى حرية الخطأ . فالطفل لابد أن يخطىء ، وسنرى مثلا أنه من مائة شيء يفعله الطفل سيخطىء فى خمسة وتسعين ، ويرى الأخصائيون أن على الآباء توجيه المدح إلى الأشياء الخمسة التى لم يخطئها ولا ننهره على الأخطاء . بهذه الطريقة سيعرف الطفل ما هو الصواب ، إذ أن إظهار الخطأ هو عمل سلبى لن يفيد وهذا معناه « تأكيد الجزاء وليس العقاب » ..

والطفل يتميز باستقلالية غريبة ، فهو يحاول دائما أن يجد بنفسه ووحده ما حوله ، وأن يكتشف ما لديه من قدرات ، وكما ذكرت حين يشعر بقدرته على الوقوف سيقف وعلى السير سيسير وهكذا . وهناك جانب آخر قد لا يشعر به الآباء وهذا الجانب هو مدى حساسية الطفل بوالديه وبرد فعلهما لما سيفعل ، وعلى الرغم من استقلاليته إلا أنه يريد دائما أن يشعر أنهما هناك حين يريدهما ، وإنى أذكر على سبيل المثال أنه مهما لعبت حفيدتى معى أو مع أقرانها أجد أنها فجأة تتوقف عن اللعب وتقول « عاوزة ماما » ، ولذلك فمن أهم واجبات الأم أن تعلم طفلها أنها تتقبله بكل ما به من عيوب ، وهذا سيؤدى إلى زيادة استقلاليته وتقبله لنفسه ، وإذا وجد الطفل سببًا يشككه فى حب والديه فإنه سيفقد الثقة فى نفسه ، وقد يتحول إلى التحدى أو الخنوع .

ومن المهم جدًّا أن يعرف الوالدان وخاصة الأم متى يكون الطفل على استعداد لتقبل شيء جديد ؟ والطريقة المثلى هى أن ينتظرا حتى

يعكس الطفل هذا ، ويأتى ذلك حين يجرب الطفل بنفسه شيئًا جديدًا ، والطفل هو الذى سيجعلهما يشعران حين يكون على استعداد لبدء ما هو جديد ، ولكن لابد لهما من توفير ذلك الشىء الجديد ، فإذا وجدا مثلا اتجاهًا من الطفل لتكوين ألعابه ، فيمكن آنذاك أن يشتريا له المكعبات التى يستعملها فى البناء ليجرب قدراته فيه ، والدرس هنا أنه لا يجب أن نجبر الطفل على تعلم شىء إلا بعد أن يكون مستعدًا له . والطفل هو الذى يجبرهما بطريقته الخاصة ، ويبين كيف يتقدم وينمو ، وعن مدى استعداده للمرحلة التالية ، إن فى استطاعة الوالدين أن يعدوا الطفل إلى نافورة المعرفة ، ولكن المهم أن يكون جاهزًا للشرب منها وإلا باءت كل المحاولات بالفشل .

دور الأم إذن على درجة كبيرة من الأهمية ، وأقول الأم وليس الأب ، لأنها تتواجد مع الطفل أكثر من الأب . ولكن هذا لا يمنع اهتمام الأب بتربية طفله فى هذه المرحلة . حقيقة أن الأب يعود إلى بيته متعبًا يريد الراحة ، ولكن لابد أن يقتطع جزءًا من وقته يخصصه لطفله ، فالطفل فى هذه المرحلة فى حاجة إلى رعاية وعناية تؤهله على تنمية الإحساس بالانتماء ، الانتماء أولا إلى والديه ثم إلى بيته ثم إلى مدرسته والحى الذى يسكن فيه ، وأخيرًا الانتماء القومى الذى هو أساس المواطن الصالح الذى نسعى إلى تكوينه .

الجزاء والعقاب

من الأمور التى يناقشها المتخصصون دائما مسألة الجزاء والعقاب ، وقد سبق أن ذكرت أن إبداء الاستحسان لما يقوم به الطفل من صواب أجْدَى من إظهار الاستياء لما هو خطأ ، وهنا يثار سؤال وهو : هل نجازى الطفل حين يقوم بعمل ما ؟ ، إن الجزاء يتحول من مجرد إبداء الاستحسان إلى توجيه المدح ، ثم إلى جزاء مادى كشراء لعبة جديدة ، أو تقديم قطعة من الحلوى ، والعقاب أيضًا يبدأ من مجرد إظهار الاستياء ثم حرمان الطفل من شىء يحبه ، وقد ينتهى بالزجر والضرب .

وسواء فى الجزاء أو العقاب يجب أن يراعى الوالدان الوسط ، فإذا أسرفنا فى الجزاء فإن الطفل سيركز على الحصول على مكافأته دون النظر إلى العمل الذى استحق عليه الجزاء ، والطفل يُحبُّ المدح وخاصة من والديه ، ولكن يجب أن يفرق الوالدان بين المدح والدلع ، ويجب أن يزنا الجزاء والعقاب .

وإذا أسرف الوالدان فى العقاب ، فإن الطفل سيحاول أن يكتشف الطرق التى يتفادى بها ذلك العقاب ، بمعنى أن العقاب لن يؤدى إلى توقفه عن القيام بما يعاقب عليه ، بل سيؤدى إلى محاولته إخفاء هذا العمل ، مما قد ينتهى به إلى الكذب . ويرى علماء النفس أن

العقاب السريع هو الحل المثالى ، بمعنى أنه يمكن ضرب الطفل على مكان غير خطر لعمل شيء بدلا من « العبوس فى وجهه مدة طويلة كما يفعل بعض الآباء » ، إن الضربة السريعة تنتهى وتنقى الجو بينما يخلق العبوس جَوًّا صعبًا يعقد حياة الطفل .

وتستمر عملية النمو ويستمر الطفل فى الاستكشاف والتعرف على العالم الذى يحيط به ، ويتميز كل عام بنوع جديد من المعرفة ، ففى **السنة الرابعة** : يستطيع الطفل أن يستعمل دورة المياه بمفرده ، كما أن عادات الأكل لديه ستتركز ، وسيعرف كيف يستعمل أدوات الطعام . وفى **السنة الخامسة** : وهى السن التى أتوقف عندها ، يبدأ الطفل فى التعرف على الصور وعلى الألوان والتمييز بينها ، وعلى الأحجام والمسافات ، وقد لا يستطيع الطفل أن يحسب الأرقام ولكنه سيتعرف عليها .

ودور البيئة هنا هام للغاية ، فكلما توفرت وتنوعت الأشياء المحيطة به كلما زادت معارف الطفل . الزهور الملونة والأثاث البراق والرسوم الحائطية ، كل هذه أساسية للطفل . وسيسأل الطفل دائما عن أسماء ما جد له ولا يجب أن يشعر الوالدان بالملل من هذه الأسئلة ، بل يجب أن يكون الأب والأم على استعداد للإجابة عليها .

ويرى علماء النفس أن الذكاء لا يتحدد عند ولادة الطفل إلا إذا أصيب الطفل أثناء الولادة ، وإنما ينمو وينمو خلال فترة الطفولة ، ويتشكل بوسائل مختلفة عن طريق إحساسات الطفل وجو البيت ،

وعن طريق تعامله مع والديه وتعرضه لتجارب مختلفة ، وكما يقال إن الطفل فى سنواته الأولى فى حاجة إلى المعمل لا إلى الكتاب ، إن الطفل يهمه ما يرى وما يشعر وما يحس وما يشم وما يذوق .

ويتجه الطفل ما بين الثالثة والرابعة إلى السرحان وأحلام اليقظة ، وإنى أذكر كيف كانت حفيدتى تتوقف أثناء الأكل وتنظر إلى الفضاء وتسرح لدقائق عديدة ، ولا يجدى معها أى توجيه أو نهر ، وقد يفقد الآباء صبرهم ، ويحاولون إجبار الطفل على العودة إلى الطعام دون فائدة ، وحتى إذا أكل تحت الضغط فإنه سرعان ما يتقيأه .. وفى هذا السن يبدأ الطفل فى طلب الاختلاط بأطفال آخرين ، وينصح علماء النفس بضرورة خروج الطفل من حدود حجرته بل والبيت للعب مع أولاد الجيران أو فى حديقة أو متنزه .

وتتجه بعض الأمهات إلى احتكار أطفالهن ، بمعنى أنهن لا يردن أن يتركن الأطفال ، والأم تريد دائما أن تشعر أنها مطلوبة ، وأن طفلها لا يستطيع الاستغناء عنها ، وسواء بطريقة شعورية أو لا شعورية ، تعارض استقلالية الطفل ورغبته فى القيام بكل شىء بنفسه . وتحاول بعض الأمهات فرض الانضباط على الأطفال . ومفهوم الانضباط يختلف من أم إلى أخرى ، ولذلك فمن الضرورى أن تسأل الأم نفسها من وقت إلى آخر : ماذا أريد من فرض الانضباط ؟ وهل الوسائل التى أستعملها ناجحة ، وهل تساعد طفلى على النمو ؟ .. وغالبية الآباء لا يوجهون هذا السؤال إلى أنفسهم ، فهم يعتقدون أنهم على علم بكل الأمور ..

إن الانضباط في معناه الضيق هو فرض نظام معين على أعمال الطفل وأخلاقه (سواء فى نومه أو استيقاظه أو أكله أو لعبه) بغرض الوصول إلى ما نراه السلوك السوى . وهو فى معناه العريض مساعدة الطفل على السيطرة على رغباته ، وكيف يرضى هذه الرغبات بطرق لا تضره أو تضر الآخرين .

ومن أهم النصائح التى نوجهها إلى الآباء : ألا يحاولوا الضغط على الطفل للتعلم أو دفعه إلى معرفة القراءة أو الكتابة فى سن مبكرة ، وهو بهذه الطريقة لن يتعلم شيئًا ، بل يتحدى عملية التعلم كلها مما ينعكس فيما بعد فى كراهية المدرسة والتعليم . وليس أحب إلى الطفل من الجلوس على ركبتى أمه مسترخيًا لينصت إلى قصص تجعله يحلق بخياله إلى عوالم جديدة عليه . والطفل يحب التقليد وقد تجيئه العادات المختلفة عن طريق التقليد وخاصة تقليد والديه ، وإنى أذكر كيف فاجأتنا حفيدتى فى يوم ما بالجلوس وأمامها كتاب مفتوح وكأنها تقرأه وذلك لأنها وجدت كل من حولها يقرأون .. وقد نمى معها حب الكتاب حتى وصلت إلى المرحلة التى استطاعت فيها القراءة .

الطفل واللعب

اللعب ضرورى للإنسان ، والطفل ينمو ويتعلم عن طريق اللعب ، إن اللعب فى أشكاله المختلفة هو وسيلة الطفل فى التخلص من طاقاته من جانب ، والتعرف على ما حوله من جانب آخر ، والطفل حين يلعب فهو يعيش فى عالم يخصه وحده ، عالم يتغلب فيه الخيال على الواقع ، عالم مبنى على تهيئات ، رموز يعرفها الطفل فقط . هناك الكثير من الآباء الذين لا يطيقون لعب الأطفال خاصة إذا كان هذا اللعب يأخذ صفة التخريب أو كسر الأشياء .

ومن ثم فإن الآباء ينهرون أطفالهم إذا ما هم قاموا بلعب يرونه الكبار على أنه عمل تخريبى ، ولكن إذا أعطى الأب أو الأم بعضًا من الوقت لمراقبة طفلهم لاستطاعوا أن يتعلموا منه الكثير ولاستطاعوا أن يحولوا هذا « اللعب التخريبى » عن طريق التوجيه غير المباشر إلى عمل خلاق مفيد ، وسأعطى بعض الأمثلة من ملاحظتى لحفيدتى واهتمامى بها ، وإنى أكرر كلمة اهتمامى . والاهتمام بالطفل ليس فى إغداق الحب عليه فى دقيقة ، ثم زجره فى دقيقة أخرى ، ونحن نرى ذلك فى حياتنا ، فنرى الأم أو الأب يحمل طفله بين ذراعيه وبذلك ويقبله ، ولكن إذا قام الطفل بعمل يراه الآباء خطأ فإن الطفل يتعرض للزجر بل للضرب أحيانًا . وهذا يسبب للطفل نوعًا من التيه ، هم يقبلانه فى دقيقة وينهرانه بعدها مباشرة .

وأعود إلى أمثلة لعب حفيدتى ، كانت تحب اللعب بالماء فتملأ أكوابًا وتفرغها على الأرض أو على المنضدة ، ولم أحاول أن أنهرها وإنما حاولت أن أبدل هذا اللعب التخريبى إلى عمل مفيد ، فملأت لها جردلا بالماء وأحضرت كوزًا كبيرًا وآخر صغيرًا وخرجنا إلى الشرفة حيث يوجد الكثير من أصص الزرع والزهور المختلفة ، وبدأت أعلمها كيف تستعمل الماء فى رى الزرع ، وأصبح رى الزرع هذا عملية يومية نقوم بها معًا ، وإن نسيتها فى يوم ما تسرع حفيدتى وتذكرنى به . بهذه الطريقة استطعت أن أحتوى اللعب التخريبى .

ومثال آخر : فقد بدأت حفيدتى فى قلب كل ما تراه أمامها من كراسى ومناضد ، وكما فعلت من قبل لم أنهرها أو أوجه إليها أى لوم ، وإنما علمتها كيف تعيدها إلى وضعها الأول ، وصارت عملية قلب الشىء ، هى أيضًا ، عملية يومية تقوم بها ثم تعيدها إلى ما كانت عليه ، وبهذا استطعت أن أبدل هذا اللعب التخريبى إلى عمل مفيد .

ونفس الشىء مع الورق والألوان ، فالطفل – كل طفل – يغوى تمزيق الورق ورميه فى أنحاء البيت ، كما يغوى اللعب بالألوان واستعمالها فى كل مكان على الحائط والمناضد وأى سطح أملس يمكن تلوينه ، وطبيعى أن تزجر الأم طفلها حين يعقل ذلك ، ولكن هذا الزجر لن يأتى بنتيجة ، والطريقة المثلى التى اتبعتها مع حفيدتى هى أن نطلب من الطفل بعد أن مزق الورقة أن يعيدها إلى ما كانت عليه ، أن يلصق قطع الورقة بعضها ببعض ، وقد أدى ذلك إلى تعلم حفيدتى

الأشكال وفعلت نفس الشيء مع الألوان ، تركتها تستعمل الألوان في كل مكان ، ولكنى اخترت لها ألوانًا من السهل مسحها ، ثم بدأت أقدم لها الورق ، وكانت النتيجة أنها أصبحت تغوى الرسم وتفوقت فيه ، وقد قامت إحدى الشركات الإيطالية بإنتاج نوع من السيراميك يمكن الرسم عليه ويسهل مسحه ووضعه فى مكانه ، بل أصبحت كلما شاهدت مقعدًا مقلوبًا تسرع بإعادته إلى ما كان عليه ، ونفس الشيء مع تمزيق الورق وهى لعبة يحبها الأطفال :

أولا : بسبب الصوت الذى تحدثه عملية التمزيق .

وثانيا : لأنها تعطى الطفل فرصة استعمال طاقته .

والأطفال يحبون فتح الأدراج واللعب بما فيها ، وهنا يجب أن نفهم كيف يعيدون الأشياء إلى مكانها ، كل هذا يحتاج إلى صبر من الآباء ، وبدون هذا الصبر لن يستطيعا تربية أطفالهما كما يجب .

الطفولة إذن أكثر فترات التلقى والحساسية والمحاكاة ، وكل ما يتعلمه الطفل فى مرحلة ما قبل الخامسة يبقى معه حتى الكبر ، ليس كمجرد ذكريات وإنما كانطباعات ثابتة وأنماط سلوكية عميقة ، وفى هذه المرحلة لا يجب على الآباء الضغط على أطفالهم ، بل إن فى إمكانهم أن يوجهونهم بحنان دون إجبار أو ضغط ، وبهذه الطريقة ينسى الطفل بعض القدرات الخاصة .

إن الفرق بين الطفل وهو يلعب ، والبالغ وهو يعمل ، هو أن الطفل يستمتع دائمًا باللعب فى حين يقوم البالغون بالعمل كواجب قد يستمتعون

به وقد لا يستسيغونه ، فالطفل هو الذى يختار اللعب ويبدأ فى ممارسته بكل قوة وعزم أكثر من الكبار فى عملهم . والطفل حين يلعب فهو أيضًا يتعلم . والآباء ليسوا فى حاجة إلى تعليم أطفالهم اللعب ، أو حتى تشجيعهم على اللعب ، إن مهمتهم هى توفير الفرص لأطفالهم للعب الحر دون خطر عليهم وفى نفس الوقت توفير الأعداد والأدوات الخاصة باللعب وبالذات تلك التى تساعدهم على تنمية خيالهم .

وكنت أراقب حفيدتى وهى تلعب ، منذ كان عمرها شهورًا قليلة ، كانت تقف فى الـ play pen وتقفز قفزات قوية محركة كل عضو فى جسمها وكانت طوال القفز تغنى بأعلى صوتها وتخرج نغمات تتوافق مع حركات القفز . كانت تفعل ذلك دون أدنى توجيه ، وكنت أنظر إليها وأرى السعادة فى وجهها ، ثم فجأة بعد ذلك اللعب المضنى تغرق فى تفكير عميق ، ثم تجلس على الأرض وتبدأ فجأة فى اللعب بعروستها أو بالدب أو الحصان أو أية دمية أخرى . وفجأة أيضًا تمسك لعبة أخرى ، وهكذا تتحول من لعبة إلى لعبة دون أن تنظر إلى مرة واحدة ، وكأنها لا تريد المقاطعة .

إن استمتاعها باللعب هو الدافع القوى للقيام به ، وكانت تبدو وكأنها تكتشف قوتها الجسمانية وعضلاتها وتتعلم كيف تستعمل هذا الجسم الضئيل الذى منحه الله قوة غريبة . وهذه القوة يمتلكها الطفل منذ ولادته ، وكنت أجربها حين أضع أصبعى فى يدها الصغيرة فتقبض عليه بقوة كبيرة ، حتى إنى كنت أستطيع أن أجذبها وهى مستلقية ، فتقوم وتجلس وهى قابضة على أصبعى .

ومهمة الوالدين كما قلت هي توفير معدات اللعب من ورق وقطع قماش وصناديق فارغة ، بالإضافة طبعًا إلى الدمى المختلفة ، وفى حالة حفيدتى كانت العروسة والدب هما أفضل لعبها ، وينعكس حب استطلاع الطفل فى طريقة تعامله مع ألعابه ، وإنى أذكر حين قامت حفيدتى بخلع ذراع عروستها وإحدى رجليها . وهى لم تفعل ذلك وتترك العروسة ، بل جعلت تحضن فى الذراع والرجل المخلوعتين وفى الثقوب فى العروسة وكأنها تحاول أن تعرف المزيد من تركيب ذلك الجسم ، فليس خلع الرجل والذراع عمل تدميرى وإنما هو محاولة للوصول إلى أسرار الحياة وغوامضها .

والطفل لا يتعلم المهارات والقدرات وحدها عن طريق المحاكاة ، وإنما ينمى فى نفس الوقت عواطفه وإحساساته ، تماما كما ينمى عضلات جسمه ، والطفل حين يولد ليس له قدرات عاطفية ، فهو إما متوتر أو مسترخٍ ، والتوتر والاسترخاء هنا نتيجة لحالة الطفل الجسمانية .. ولكن من هذه البدائية تنمو أحاسيس الطفل وعواطفه المركبة ، ويرى علماء النفس أن أصوب طريقة لخلق توازن للنمو العاطفى هى أن يجمع الآباء ما بين التدليل لأطفالهم ، بمعنى إعطائهم ما يريدون وبين الرفض من وقت إلى آخر .. وبهذه الطريقة يتعود الطفل على أن يبذل جهدًا ما للحصول على شىء ما .

ويبدأ الطفل بعد ذلك فى الربط بين ما يفعله وما يريده ، فيفهم أنه إذا أراد شيئًا ما فعليه أن يقوم بعمل معين يعطيه الحق فى الوصول إلى ما يريده . ومعنى هذا أن الطفل الذى كان يعتقد أنه هو العالم ،

بدأ يشعر أن هناك عالمًا خارجيًا يبدأ فى التعرف عليه ، ويبدأ فى المشاركة في عملية أخذ وعطاء مع العالم الذى حوله . وتستمر هذه العملية ، الأخذ والعطاء مع الطفل حتى يكبر وينمو ، وهنا يظهر الارتباط مع ما تعلمه فى المرحلة الابتدائية ، وكما يقول المثل الإنجليزى (إن الطريقة التى يميل بها الغصن هى التى تؤثر على ميل الشجرة) أى أن ما يتعلمه الطفل فى الصغر سيقرر طبيعته فى الكبر .

والسؤال هو : هل نحاول نحن الكبار أن نميل الشجرة حسب رغباتنا وفهمنا ومخاوفنا وميولنا ؟ والإجابة فى الحال هى النفى ، وهذا لا ينفى دور الأب والأم فى المرحلة الأولى لنمو الطفل ، فإن مهمتهما الأساسية فى خلال السنوات الأولى ، بالإضافة إلى الرعاية الجسمانية ، هى أن يساعداه على أن ينمو بطريقة سوية جسمانيًا وعاطفيا ، وبهذه الطريقة يمكنه أن يحيا حياة متوازنة . المفروض أن نترك الطفل يمتص أكبر عدد من التجارب والمعرفة عن العالم ومن فيه ، ولكنَّ هذه العملية لا يجب أن تتم عن طريق الضغط أو الإجبار .

ومن المعروف أن صفات الطفل الجسمانية ، أو معظمها ، تأتى عن طريق الوراثة ، ولا يمكن تغييرها أو على الأقل من الصعب تغييرها فإن بعضها وهو الأحاسيس الأولية تأتى مع الطفل وفى مراحله الأولى ، أما الأنماط العاطفية فهى تتكون بالتجربة . وأقصد بالأحاسيس الأولى الجوع والرغبة فى النوم والبكاء على سبيل المثال ، أما الأنماط العاطفية فهى تلك التى تأتى من تعامله مع الآخرين ، مثل الإحساس بالفرحة عند رؤية من يحب أو بالغضب إذا نهره أبوه ، أو بالحماس

حين يفعل شيئًا بنجاح ، وبمعنى آخر علاقة الطفل بأبيه وأمه ، وهو نمط عاطفى يبقى مع الطفل فى جميع مراحل نموه - والطفل يرث بعض الصفات التى لا يمكن تغييرها .

وإمكانية الطفل على التعلم مرتبطة ارتباطًا تاما بالبيئة التى يعيش فيها وخاصة البيت ، ولذلك فهو فى حاجة إلى مراقبة دقيقة لسلوك الطفل ، وفى المرحلة الأولى يتعلم الآباء من أطفالهم ولعل الأم هى التلميذ الأول للطفل ، فهو يعلم أمه منذ ولادته ولن تستطيع الأم أن تتعلم دون مراقبة منتظمة للطفل ، فهى تتعلم من طريقة بكاء الطفل أنه يبكى حين يجوع أو حين يكون قد لون نفسه ويشعر بعدم الراحة ، وهو يريد النوم حين يكون متعبًا ويبتسم حين يشعر بالسعادة ، والأم عليها أن تتصرف على ردود الفعل هذه .

وأول ارتباط للطفل يكون مع أمه ، وهذا الارتباط وثيق يعكس ثقة من جانب الطفل مما تفعله الأم ، فهى الوحيدة التى يتقبل منها أنواعًا جديدة من الطعام مثلا ولا يتقبله من الآخرين . وسبب هذا ليس حبًا فى الأم ، إذْ أن مرحلة النمو الأولى لا تعرف العواطف ، وثقة الطفل فى أمه هنا نتيجة لارتباطه الطبيعى اللاشعورى بها ..

والطفل يحب اللعب بطريقته الخاصة ، والفرق بين الطفل وهو يلعب والشخص البالغ وهو يعمل أن الطفل يستمتع باللعب ، إن الطفل يختار اللعب ويمارسه بكل قوة وعزم أكثر من البالغين فى عملهم ، ومع اللعب يتعلم الطفل ، والأطفال ليسوا فى حاجة إلى

آبائهم لتعلم اللعب ، وليسوا فى حاجة حتى إلى التشجيع لممارسة اللعب .. المهم هو توفير الفرص والإمكانيات للطفل للعب الحر دون إخطار وإيجاد المواد والأدوات الخاصة باللعب مع مراعاة مساعدتها للطفل على تنمية خياله .

وإذا راقبنا الطفل وهو يلعب – كما كنت أفعل مع حفيدتى – لوجدته يعكس سعادة كبيرة ، نراه مرة يفكر تفكيرًا عميقًا ومرة أخرى سارحًا ببصره ، نراه ينتقل بسرعة من لعبة إلى أخرى ، يبدأ فى رسم شىء ثم لا ينتهى منه ويبدأ فى رسم شىء آخر . إن ما يفعله الطفل هو إجراء تجارب على الأشكال والمواد والأفكار وهو لا يريد أن يقطع عليه أحد هذا الاستمتاع ، فالاستمتاع هو دافعه للعب . الطفل يريد أن يعرف كيف يستعمل عضلاته . كيف يحول المواد الخام إلى أشكال ذات معنى له على الأقل .. وأخيرًا كيف يتعامل مع الأطفال الآخرين .

وقبل دخول الحضانة سيكون لعب الطفل غير منظم ، سيلعب بكل ما يقع يده عليه ، البلى والريش والورق والطين والرمل بصندوق فارغ ، بعلبة كوكاكولا .. وقد يشترى الآباء أغلى اللعب ليجدوا أن أطفالهم يفضلون هذه الكراكيب ، وإنى أذكر كيف كنت أحتفظ لحفيدتى بكل زجاجة فارغة أو علبة خشبية أو دوبارة بعد شراء شىء من السوق .. وكيف كانت تشعر بالسرور بهذه الكراكيب .

وإنى أذكر كيف كانت حفيدتى تترك لعبة المطبخ المجهز لتطهى الطعام فى علب فارغة .. ومن النصائح الهامة عدم توفير أية أدوات حادة يمكن أن تضر الطفل .

الطفل والمحاكاة

يميل الطفل دائما إلى المحاكاة ، وقد شاهدت تجارب عديدة تمت لتثبت ذلك ، لعل أهمها ما شاهدته فى اليابان ، وإنى أذكر أول حديث لى مع أستاذ يابانى مهتم بالأطفال وهو فى نفس الوقت مدير شركة من أكبر شركات الألكترونات فى اليابان بل فى العالم .. وقد طرح الأستاذ نظرية أصدرها فى كتاب بعنوان « روضة الأطفال لا تكفى » وترتكز على أن الطفل منذ الولادة حتى سن الخامسة تتكون شخصيته ويستوعب معلوماته الأساسية .

ومن المعروف فعلا ، حسب كتابات علماء النفس ، أن ما يتعلمه الطفل فى هذه الفترة يحتاج البالغ إلى عشرات السنين لكى يتعلمه ، بل أثبت علماء علم نفس الأطفال أن ما يتعلمه الطفل منذ الولادة حتى سن الخامسة يزيد على ما يتعلمه من سن الخامسة حتى سن العشرين . وإذا نحن فكرنا فعلا فى هذا وسألنا أنفسنا : ماذا يتعلم الطفل فى هذه المرحلة ؟ لوجدت أنه يتعلم العالم حوله ، يبدأ بالتعرف على أمه وأبيه وأسرته والطعام الذى يقدم إليه ، ثم خطوة خطوة تتسع آفاق معرفته لتغطى مجتمعه ثم بلده .

ويرى الأستاذ اليابانى أن الطفل يولد وهو غير كامل النمو إذا ما قارنا ، بالحيوانات ، بالحيوان بمجرد ولادته يبدأ فى السير وفى

الحركة وفى إطعام نفسه ، وكلها أعمال تعلمها الطفل فى سنته الأولى وبدء السنة الثانية . وفى هذه المرحلة يتعلم الطفل عن طريق التقليد والأنماط ، فهو يرى أنماطًا تثبت فى ذهنه دون أن يحللها أو يشرحها وإنما يحاول تقليدها ، وقد استطاع الأستاذ اليابانى أن يتوصل إلى اختراع جهاز بسيط يعمل بالبطاريات ويستطيع الطفل نفسه أن يحركه وله مجموعة من البطاقات على كل منها صورة واسم الصورة وصوت يذكر هذا الاسم . وما على الطفل إلا أن يدفع بالبطاقة إلى فتحة معينة فتسير البطاقة وتسمع الصوت وهو يذكر الاسم وفى نفس الوقت يشاهد الطفل الصورة . وتنقسم البطاقات إلى مجاميع ، عن جسم الإنسان والحيوانات المختلفة والفاكهة وغيرها مما يحيط بالطفل .

والطفل فى هذه المرحلة لا يشعر بالملل من التكرار ، بل على العكس فإنه يحب التكرار ، ويمكن ملاحظة ذلك حين يلفظ الطفل كلمة جديدة أو صوتًا جديدًا ، وكيف يكرره بصفة مستمرة . وهذا يعنى أنه يمكن تكرار الأنماط للطفل حتى يستوعبها ، وهو قادر على استيعاب أعداد لا تحصى من الأنماط .

وقد بدأ الأستاذ اليابانى مجموعة من المدارس والفصول التى يلتحق بها الطفل قبل دخوله المدرسة ، وهناك يتلقى عن طريق هذا الجهاز الجديد مجموعات من الأنماط ، وقد وجد بالبحث والإحصاء أن الطفل الذى يدخل إحدى هذه المدارس والفصول يستطيع بعدها أن يتابع دراسته بكل سهولة ويصبح متفوقًا على أقرانه .

وهناك تجربة تمت فى اليابان ونجحت لدرجة أن أمريكا بدأت فى تنفيذها ، وهى تعليم الطفل منذ سن العامين العزف على الكمان ، وقد نجحت هذه التجربة لدرجة أنه تكونت فرقة موسيقية من سن ٤ — ١٢ سنة ، قدمت حفلات فى أمريكا لاقت نجاحًا منقطع النظير ، وأثناء حضورى مؤتمرًا خاصًّا بتعليم طفل ما قبل الخامسة شاهدنا عرضًا لهذه الفرقة التى قدمت لنا معزوفات كلاسيكية على مستوى من العزف لا يقل عن أية فرقة أخرى .

وهناك فى اليابان الآن ما يزيد على عشرة آلاف طفل يتعلمون العزف على الكمان ، وقد زرنا أثناء المؤتمر إحدى المدارس التى يتعلم فيها الطفل ، وتابعنا الخطوات التى تتم منذ البداية ، وتبدأ التجربة حين تأخذ الأم طفلها ولم يبلغ العامين إلى المعهد الذى يتعلم فيه الصغار الموسيقى وتجلس فى حصة الكمان ، وما يحدث فى هذه المرحلة الأولى هى أن الطفل يراقب ما يحدث أمامه ، وتستمر هذه المراقبة لمدة شهرين ، ثم يوضع بجواره كمان صغير لا يخرج أية نغمات ويترك فى حاله ، وحينئذ سيبدأ وحده اللعب بالكمان محاولا تقليد من شاهدهم فيحاول أن يجلس كما يجلسون ويحمل الكمان الصغير كما يحملونه وخطوة خطوة سيصل إلى الوضع الصحيح المطلوب من عازف الكمان وحينئذ فقط تعطى له فرصة استعمال كمان صغير آخر يمكن العزف عليه ، وهكذا حتى يبدأ الطفل فى محاولة إنتاج النغمات ، ويصل فى النهاية إلى مرحلة العزف .

كل هذا يتم بمصاحبة الأم ، وهذا يؤكد دور الأم فى المرحلة الأولى من تعلم الطفل ، قبل أن يبدأ ما يسمى بالتعليم الرسمى . والطفل فى هذه المرحلة يتعلم عن طريق الحركة واللعب ، ومن واجب الأم أن تشجع الطفل على اللعب وتوجهه . ونحن نعرف أن الكثير من الأمهات والآباء ينهرون أولادهم دائما حين يتحركون أو يلعبون وخاصة إذا كانت الحركة واللعب يؤديان إلى أعمال تدميرية . والواقع أن الأم فى استطاعتها توجيه اللعب إلى عمل خلاق مفيد ، وعلى سبيل المثال - كما قلت - أذكر أن حفيدتى - وكانت فى عامها الثانى - كانت تحب أن تسكب الماء فى كل مكان ، كان عندها شغف شديد بالماء وبسكبه على الأرض ، ولم ينجح معها أى زَجْرٍ أو ضرب ..

الطفل بين العلم والتعلم

كل منا نحن المهتمون بتربية الأطفال لنا مفاهيمنا وآراؤنا حول ماهية الطفل وما يحتاجه من تعلم وكيف نعلمه ، ولكن كثيرًا ما تكون هذه الآراء غير ذات قيمة بل ومتضاربة ، وتتحول هذه الآراء إلى فلسفة حين يصبح فى استطاعتنا أن نعبر عنها بوضوح وحين نكوّن مفهومًا ملموسًا . ولكى نكوّن مثل هذه الفلسفة لابد أن نكون على بينة بالمناقشات والخلافات المختلفة حول موضوع التعليم المبكر للطفل ، وحتى الستينات كانت المناقشات الأساسية حول تعليم الطفل حتى السادسة هى : هل يذهب هؤلاء الأطفال إلى المدارس أم لا ، وكان الكثيرون يرون أن الطفل فى هذه السن من مصلحته أن يبقى فى البيت بينما كان البعض يعتقد أن الحضانة لا ضرر منها ، وإن كانت عديمة الفائدة – ولكن أخيرًا بدأ يطفو على السطح اهتمام كبير بأهمية السنوات الأولى فى حياة الطفل ، والاحتياجات الشديدة بضرورة إيجاد رعاية للطفل أثناء اليوم أى نوع من المدرسة للأطفال قبل بدء التعليم الرسمى ، وشعر الجميع بأهمية مثل هذا التعليم أساسى ، ولم تعد المناقشة الآن حول هل هناك ضرورة للتعليم قبل الخامسة ؟ بل أصبحت ما الذى نعلمه للطفل فى هذه المرحلة ، وما هى الطريقة المثلى لهذا ومن الذى يقوم بها .

وهناك اختلاف فى الآراء بين رجال التربية حول هذا ، بل وأيضًا بين الكثيرين من خارج إطار التربية سواء أكانوا من الآباء أو رجال السياسة والإعلام ؛ ولعل هذا يعطى الموضوع أهمية عامة ويخرجه من إطار الفكر الأكاديمى الخالص إلى نطاق التطبيق ، فهذا يعنى اهتمامًا كبيرًا ومشاركة وتعرفًا على أن ما يحدث فى هذه الفترة المبكرة من حياة أطفالنا مهم بالنسبة للأطفال أنفسهم . وهذا الاهتمام من شأنه أن يرضى العاملين فى إطار تعليم الطفل وتربيته ، وإن كانوا يشعرون أحيانًا بالقلق من تدخل الكثيرين فى عملهم .

والآن نأتى إلى السؤال الأول وهو : ما الذى تقدمه الحضانة للطفل ؟ وهو سؤال يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالقيم أى « ما هى أهم الأشياء التى يجب أن يتعلمها الطفل فى هذه المرحلة ، وقبل أن يلتحق بالتعليم الرسمى ، أو بمعنى آخر : ما هى أهداف الأطفال ؟ .. وهنا يجب أن نحدد ما نعنيه بالأهداف ، إذا كان المفهوم هو أهداف محددة نريد أن يصل إليها أطفالنا ، فإن هذا يعنى أننا نريد أن يكون جميع الأطفال على شاكلة بعضهم البعض ، ولكن ما نعنيه بالهدف هو جانب معين من جوانب الطفل ، نريد أن نساعده على تنميته فى إطار اهتماماته وإمكانياته ، ونحن حين نحاول أن نعرف ما الذى يستطيع الطفل أو مجموعة من الأطفال أن يفعلوه فى جانب معين ، فإن هذا لا يعنى أننا نريد أن نصدر عليهم حكمنا ، ونحدد المستوى الذى وصلوا إليه ، وإنما ما نسعى إليه هو أن نعرف أين يقف كل طفل حتى يمكننا أن نساعده على التقدم إلى المستوى الذى يقدر عليه ، مع

الأخذ فى الحسبان أن أى تقدم لابد أن يتم فى خطوات صغيرة وأن كل خطوة تبنى على الخطوة السابقة .

وقد شاهد تاريخ دراسات الأطفال بعض الخلافات حول مفهوم الأهداف ، وكانت هذه الخلافات تبدو بسيطة وسهلة ، فكانت هناك مدرسة فكرية تؤكد أهمية تنمية القدرات الذهنية ودوافع الإنجاز على حساب النواحى الأخرى ، وكان المنادون بهذا المفهوم يرون أن هناك مضيعة للوقت إذا لم نبدأ فى تعليم الطفل القراءة فى سن مبكرة ، وكان هناك رأى آخر يهتم أساسًا بتنمية الطفل الاجتماعية ، وبنواحى الخَلْق والابتكار لديه ، وكان أصحاب هذا الرأى يطالبون بعدم دفع الطفل ، بل تركه يستمتع بطفولته لأطول زمن ممكن .. وهل كل من هذين الرأيين هو رد فعل للشعور العام بأن الأطفال يضيعون السنوات الخمس الأولى لأن بيوتهم وحيهم وبيئتهم بل ومدارسهم لا يوفر لهم الإمكانيات اللازمة للنمو فى أى جانب من جوانب النشاط .. ونحن نجد فعلا أن هناك الكثير من الأطفال الذين لا يجدون حولهم دوافع أو إثارات ذهنية فى أى جانب ، بل إنهم لا يجدون أية مساعدة – سواء من الآباء أو المدرسين – لكى يعيشوا فى سعادة وابتكار مع غيرهم – بل ولا تعطى لهم الفرصة لاستعمال أجسامهم بطريقة فعالة عبر اللعب النشط .

ولعل هذه الخلافات القديمة قد انتهت الآن – على الأقل فى العديد من الدول المتقدمة – وأصبح هناك إجماع على عدد من الأهداف الأساسية فى إطار نمو تعليم الطفل المهارات ، ويمكن تقسيم هذه الأهداف إلى ست مناطق هى :

١ – القدرات السابقة لتعلم القراءة ، ومنها التعرف على الأشكال المختلفة ، والتعرف على الحروف وأصوات هذه الحروف ، ثم التعرف على كلمات القراءة ، وقراءة بعض المواد السهلة .

٢ – اللغة واستعمال اللغة الأم الصحيحة وصحة استعمال المفرد والجمع والمذكر والمؤنث والنفى والإيجاب وغيرها من الاستعمالات اللغوية الضرورية .

٣ – معلومات وصفية – مثل تعلم مفاهيم الألوان والأوزان والأحجام والأنسجة ، وتعلم وصفى للأشياء فى إطار هذه المفاهيم ، وكذلك استيعاب معلومات حول العالم مثل كيف تنمو النباتات وما الذى يفعله رجل المطافىء أو ساعى البريد .

٤ – مفاهيم الأعداد والفصول .

٥ – الحركة المرئية وهى التعرف على الأشياء فى الصور ، والتعرف على أشكال الرسم واستعمال العيون والأيدى معًا بطريقة فعالة .

٦ – الذاكرة والانتباه وحل المشاكل وتذكر ما يحدث .

وتأتى بعد ذلك البرامج الخاصة بالتنمية الاجتماعية والعاطفية للطفل ، وهنا من حقنا أن نسأل ، ماذا نعنى بالتنمية الاجتماعية والعاطفية ؟ .. ونحن حين نذكر هذا التعبير فإن أول ما يأتى إلى خاطرنا هو كيف يتعلم الطفل أن يعيش مع غيره ، ولعل هذا هو الغرض الأساسى من التعليم . ولكن الواقع أننا نعنى بهذا التعبير شيئًا أكبر من هذا وأوسع ، حقيقة أن ما نعنيه يرتبط بعلاقات الطفل مع غيره وسلوكه

تجاه الآخرين وتجاه نفسه ، ولشخصيته – وفيما يلي بعض النواحي المرتبطة بهذه البرامج :

الأولى : التعامل مع الآخرين والتعود على البالغين خارج إطار الأسرة : وتنحصر هذه الناحية في دور التجربة المدرسية الأولى فى تعليم الاحترام لحقوق الأطفال الآخرين ، وفى تقبل المدرسين على أنهم أشخاص يرغبون فى مساعدة الطفل .

الثانية : المسئولية الاجتماعية : وهى أبعد من مجرد القدرة على التعامل مع الآخرين ، فهى تقوم على أساس تقبل الآخرين برغم الاختلافات بينهم والشعور بالمسئولية للآخرين وللبيئة التى يعيش فيها الطفل .

الثالثة : الابتعاد والاستقلالية : وهى كيف يتعلم الطفل الاستمتاع بإنتاج شيء بمفرده وباتخاذ القرار وحده ، وبهذه الطريقة يكتسب الطفل المقدرة والشعور بقيمته .

الرابعة : تعلم فهم كيف يشعر الآخرون : وكيف يعبر فى كلمات عن مشاعره هو .

الخامسة : تنمية ارتباطات معينة وولاءات محددة : سواء ارتباطه بالمدرسة وإحساسه بالفخر والانتماء إلى مجموعة معينة ، سواء أكانت هذه المجموعة جنسًا معنًا أو ثقافة أو ديانة من الديانات .

كل هذه الأحداث مهمة ، سواء أكانت فكرية أو اجتماعية عاطفية ، ولكن على الرغم من أهميتها ، وعلى الرغم من أنها تعكس مدارس

محددة من الفكر بخصوص نمو الطفل ، إلا أن هناك بعض النواحى التى تنقصها والتى لم تعالجها .

ومن الواضح أن هناك بعض النواحى الهامة والأساسية حين تحفظ أى برنامج خاص بالطفل فى مراحله الأولى ، وبعض هذه النواحى ليس له أى ارتباط بعملية التعليم ، وإنما نراها مرتبطة بأمور إنسانية مثل إعطاء الوالدين الفرصة للعمل أو للمرانة ، أو لمكسب مادى للمشرفين على عملية تربية الأطفال .

والآن نأتى إلى سؤال هام هو : كيف نختار الأهداف بحيث تصلح للغرض النبيل الذى نسعى إليه ؟ ، وقد دارت مناقشات عديدة حول هذا الموضوع يمكن أن نستخلص منها بعض الأسس العامة التى تساعدنا إلى تقرير أهدافنا ، وأهم هذه الأسس هو أن تكون الأهداف واسعة ، بمعنى أن الفترة السابقة لعام الطفل الخامس يجب أن يقضيها الطفل فى تنمية جميع المهارات ، والمفاهيم التى فى استطاعته أن يستوعبها بحكم نموه الجسدى والذهنى والتى يحتاج إلى ممارستها بطريقة فعالة للقيام بدوره كعضو فى المجتمع .

وهذا يعنى أن المشرفة على الطفل ، سواء أكانت المدرسة أو الأم يجب أن تتميز بالقدرة على مساعدة الطفل فى استعمال جسمه وفى فهم الآخرين والقدرة على الاتصال بهم (اللغة) ، وفى تنمية القدرات للتعامل مع احتياجات البيئة (اجتماعية عاطفية) ، بالإضافة إلى اكتساب معرفة حول العالم (مفاهيم) .

وإذا رأت المدرسة أن هناك هدفا من هذه الأهداف أهم من الآخر ، فإنها تستطيع أن تنظر إلى جميع الأهداف باعتبارها السبيل لتحقيق هدف واحد ، وهو أن الطفل يستطيع أن يفيد نفسه ويعتبر نفسه إنسانًا له قيمة فى عالم يستحق الحياة فيه .

ومن المهم أن نعرف طبيعة الأهداف التى نريد تحقيقها ، ومدى صلاحيتها للأطفال الذين نريد تحقيقها معهم ، ويمكننا أن نحكم على مدى هذه الصلاحية عن طريق ثلاثة طرق :

الأول : أن نسأل أنفسنا هل للأطفال الذين فى هذه السن القدرة والاهتمام الكافى لتعلم هذه القدرات أو المفاهيم بسهولة نسبية ، ونحن نعرف مثلا أنه عن طريق الجهود والوقت يمكن تعليم الأطفال أشياء عديدة فى مرحلة مبكرة عن المرحلة التى يتعلمون عادة فيها ، ولكن حين يزيد الوقت والجهد سواء من جانب المدرسة أو الطفل على نقطة معينة فإن الهدف لا يعد صالحًا ، ويصبح من الضرورى صرف ذلك الوقت فى أشياء أخرى يمكن تعلمها بسهولة أكثر . وصلاحية الهدف تتقرر أيضًا فى ضوء الحد الأقصى من الزمن الذى يصرف فى تحقيقه . وفى السنوات الأخيرة بدأ المتخصصون فى تأكيد حقيقة مهمة وهى أن هناك أوقاتًا معينة يمكن خلالها أن يتعلم الطفل بسهولة أشياء معينة ، وأنه إذا استطعنا أن نتعرف على هذه الأوقات فإن فى استطاعتنا أن نحدد بسهولة الأهداف التى نسعى إلى تحقيقها ومن حسن الحظ أن الحد الأقصى هذا كثيرًا ما يصاحب المرحلة التى يكون الطفل قد انتهى فيها من تعلم شىء ما ، وبدأ يشعر

بالرغبة في تعلم شيء آخر . وهناك جانب آخر من صلاحية الأهداف ليس له أى ارتباط بقدرة الطفل على التكلم ، بل بمدى صلاحية بعض الأهداف لمجموعة معينة من الأطفال ، ويبدو هذا واضحًا إذا ما نحن درسنا مدى تحقيق أهداف معينة وثقافات معينة ، وعلى سبيل المثال فإننا نجد أن بعض الأهداف التى تصلح للطفل الإنجليزى لا تصلح بالمرة للطفل المصرى والعكس ، فالطفل المصرى فى حاجة إلى مهارات معينة ومعلومات محددة قد لا تفيد الطفل الإنجليزى أو تصلح له . وعلى سبيل المثال إذا حاولنا أن نوصل إلى الطفل معلومات عن الفصول المختلفة ، فإننا سنجد أنه بينما تبدو اختلافات فصول السنة واضحة فى إنجلترا فهى لا تكاد تلاحظ فى العالم العربى ، كما أن نوعية المعلومات الصحية التى يريد الطفل العربى أن يستوعبها تختلف اختلافًا واضحًا عن ما هو مطلوب للطفل الإنجليزى .

والطريق الثانى : وهناك صيغة أخرى للأهداف وهو فرديتها ، بمعنى أن ننظر إلى كل طفل بمفرده ، وأن نحاول أن نتعرف على احتياجاته وعلى قوته ، وفى ضوء هذا يمكننا أن نحدد الأهداف التى نرى التأكيد عليها حين نخطط له ، ونحن حين نخطط نشاطًا معينًا لطفل ما ، فهذا لا يعنى أننا ننتظر منه أن يصل إلى مستوى معين منه ، وإنما كل ما يهدف إليه هو أن نعطيه مساعدة معينة ، وتشجيعًا كافيًا يدفعه إلى استعمال يديه حتى يتعلم كيف يستعملها فى هذه الفترة المحددة من سنه . ويجب بالإضافة أن نتذكر أنه وإن كنا نؤكد بعض نواحى النشاط ، فإن هذا لا يعنى إهمال النواحى الأخرى .

كل هذا يعنى أنه حين يريد الإجابة على سؤال ماذا ؟ فإن علينا أن نعلم الطفل فى إطار أربعة أسس : أن يكون البرنامج عريضًا – ومحدد الأهداف – ويتفق مع الأطفال الذين نوجه إليهم البرنامج – وأخيرًا أن يراعى فردية كل طفل واحتياجاته .

أما الطريق الثالث والأخير : والآن نصل إلى سؤال « كيف » : وهو كيف يتم التدريس فى الحضانة وروضة الأطفال ؟ ، وحين نقول « كيف » فنحن نعنى أولا : عملية التدريس نفسها ، وثانيًا : بنيان البرنامج وتكوينه ، وعملية التدريس تتوقف على التكتيك الذى تستعمله المدرسة فهل تدرس لمجموعة كبيرة أو صغيرة أو لأفراد ، وهل يستعمل التدريس المباشر أو طريقة الاستكشاف ، وما هى الأدوات التى تستعملها ، أهى كتب أو أفلام أو مساعدات سمعية وبصرية أخرى ، وما هى أنواع التأثيرات أهى جوهرية أو عرضية ، وبينما نجد أن عملية التدريس مرتبطة تماما ببنيان التدريس فإنه من الضرورى أن نذكر أنها ترتبط ارتباطًا واهيًا باختيار الأهداف .

وحين نود تحديد فلسفة التعليم فإنه من الضرورى ألا نخلط بين الأهداف والوسائل ، أى ألا نخلط « ماذا » بـ « كيف » . حقيقة أن هناك بعض الارتباطات بمعنى أن بعض الأهداف لا يمكن الوصول إليها عن طريق وسائل معينة ، فإذا كان الهدف هو الوصول إلى تكوين أطفال مستقلين ومبتكرين فإن عملية التعليم لا يمكن أن تصبح متشددة ..

كما أننا كثيرًا ما نجد وسائل متعددة لهدف واحد ، فمثلا حين نريد تعليم الطفل اللغة فإننا نستطيع أن نستعمل تدريبات جماعية ، أو ألعاب معينة أو تعليم كل طفل بمفرده ، أو عن طريق الميكروفون أو جهاز التسجيل أو الآلة الكاتبة .

وهناك أنواع عديدة من الوسائل التعليمية لعل أقربها إلى الطفل هو ما يسمى بالعملية التشخيصية وهى التقييم أى معرفة أين يقف الأطفال ، والمدرس المتدرب لا شك يعرف بشكل عام ما الذى ينتظره من الأعمار المختلفة ، وهو يعرف أيضًا أن نفس المجموعة قد تتغير من عام إلى عام فى قدراتها ومهاراتها ، بل إن بعض هذه المجموعات تكون لها شخصية موحدة ، تمامًا كما يكون للفرد شخصيته ، ولكن فى نفس الوقت نجد أن لكل طفل فى المجموعة شخصيته الفريدة ، ومن ثم نجد اختلافات كثيرة من طفل إلى آخر ، والمدرس المتدرب فى استطاعته بنهاية العام أن يتعرف على هذه الاختلافات وعلى الصفات الفردية لكل واحد من أطفاله ، وهذه عملية غير سهلة وتحتاج من المدرس أن يراقب سلوك كل طفل ، وأن يحتفظ بانطباعاته عن كل منهم ، أى أن يكون نوعًا من السجلات الذهنية لكل طفل ، وهذا يتطلب من المدرس تدريبًا واهتمامًا خاصًّا بعمله ، وعملية المتابعة والتسجيل هذه هى أساس التعليم الشخصى ، إذ فى ضوء هذه السجلات الناتجة عن الملاحظة الدائمة يستطيع المدرس أن يشخص احتياجات كل طفل وبالتبعية يمكنه وضع الخطط اللازمة لتنمية قدراته وإمكانياته وريادته ، ومعنى هذا أنه يجب أن ينظر إلى كل طفل باعتباره فرد

له قدرات معينة ومعارف محددة ، وذلك دون أن نراه نموذجًا للطفل في هذا السن المعين فلا نقول مثلا إن الطفل فى سن الثالثة أو الرابعة يعرف هذا أو ذاك أو فى حاجة إلى معلومات معينة ، فمن حق الأطفال عندنا أن نعاملهم كأفراد لكل منهم مزاجه واحتياجاته ورغباته وميوله ، وهذا يتعين علينا أن ندرس كل طفل عن كثب ونحتفظ له بملف ذهنى قد تساعده بعض الملاحظات المكتوبة وفى ضوء هذا نضع مخطط التعامل معه . طبعا هناك أشياء عامة تتشارك فيها الأطفال - الأعمار والمجموعات المختلفة ، ومن ثم يتحتم علينا عند وضع أى برنامج أن نجعله مرنًا بدرجة تغطينا فرصة تطبيقه على كل طفل على حدة .

وهناك أسس عامة تساعد المدرس أو المدرسة على وضع خطة توجيه الأطفال ومواجهة احتياجاتهم التعليمية . وهذه الأسس نابعة من صميم الأطفال أنفسهم ووضعها المتخصصون بعد إجراء تجارب عديدة على الأطفال وهى :

الأول : القوة الدافعة للتعلم : وهذه القوة يتميز بها جميع الأطفال عدا القليلين منهم فلهم ظروف خاصة . فالطفل الذى يحضر إلى الحضانة فى السنة الثالثة من عمره له احتياجات متعددة أو دوافع تعطيه الرغبة فى العلم . وعلماء النفس يختلفون حول طبيعة هذه الدوافع ، وهل هى طبيعية يولد بها الطفل أم أنها مكتسبة ، ولكن هذا لايهم المدرس ، المهم أن هذه الدوافع موجودة ومشحوذة للتعلم ..

الثانى : دافع الحركة : ونحن إذا راقبنا صغار الأطفال فإننا سنلاحظ أنهم دائمو الحركة التى تبدو عشوائية بلا غرض أو لمجرد غرض الحركة ، وإذا راقبنا الطفل فى عامه الثالث وهو فى الحضانة سنرى أنه من الصعب عليه أن يجلس ساكنًا لمدة طويلة ، وحتى فى فترة الراحة فإنه سيتحرك بطريقة مستمرة وقد تكون هذه الحركة مشكلة للمدرس ولكنه يستطيع أن يحولها إلى حركات منتجة تؤدى إلى شعور الطفل بالراحة والاسترخاء ..

الثالث : ثم تأتي بعد ذلك عملية القيام بشىء : ومن صفات الإنسان أنه دائم الرغبة فى عمل شىء بيديه ، والطفل هنا لا يختلف عن البالغ ولا شك أن جميعنا لاحظ كيف يحاول الطفل أن يفعل شيئًا .. فهو يلعب بأصابع يديه ، ويطرق طرف سريره بأى شىء ، ويلعب بكل ما تصل يداه إليه .

ويمكن توجيه هذا الدافع فى الحضانة أو فى روضة الأطفال لتنمية بعض إمكانات الطفل الحركية مثل الرسم وربط رباط حذائه أو ردائه ، وبالتدريج يمكن الوصول بها إلى مرحلة الكتابة .

أما الرابع فهو دافع الاستكشاف : وهذا الدافع واضح جدًا فى الأطفال وفى الحيوانات أيضًا ، وأساسه حب الاستطلاع ، إن الطفل يريد أن يعرف كل شىء عن بيئته وقد يكون هذا مصدر متاعب للكبار ، فالطفل يريد أن يلمس ما حوله وأن يكتشف وأن يدخل الأماكن التى يمنع من دخولها .

وهذا الدافع يعد من أهم الصفات التى يستطيع المدرس أو الأب أو الأم الاستفادة منها لمساعدة الطفل على التعرف على العالم الذى يحيط به وفى تعليمه بعض المفاهيم الأساسية ، ومن الطرق التى تستغل فى الحضانات أو رياض الأطفال هى إحضار شىء ما فى صندوق وسؤال الأطفال عما يعتقدونه في داخل الصندوق ، والطفل الصغير جدًّا يذكره حب استطلاعه على ما يحيط به مباشرة ، فى حين نجد أن طفل الثالثة يبدأ فى الدخول إلى عالم الآراء والأفكار ، فهو يريد أن يعرف أسماء الأشياء المحيطة – وما الذى يحدث حين لا يكون موجودًا والآباء الذين يهتمون بأطفالهم والمدرسون فى استطاعتهم استغلال هذا الدافع لتنمية حب الاستطلاع الذهنى الذى يتصف به العلماء فى داخل الطفل بحيث يستطيع عند الكبر أن يستعمله .

ويأتى بعد ذلك **الدافع الخامس** وهو التعامل الاجتماعى : أى الرغبة فى التواجد مع الآخرين ، وهذا الدافع يطفو على السطح فى سن مبكرة ، فنجد أن الطفل فى شهره الثالث يشعر بالسعادة وهو مع الآخرين يناغيهم ويلعب معهم ، وكلما نما الطفل فإنه يبدأ فى البحث عن صحبه ممن هم فى سنه أو الكبار الودودين . وإذا استطعنا أن نستفيد من رغبة الطفل فى صحبة الآخرين فإننا نشرح له كيف يتعايش معهم ، وبهذا نستطيع تأسيس علاقات الطفل ، ثم البالغ بعد ذلك مع الآخرين فى المدرسة وفى المجتمع بعد ذلك .

والدافع السادس : هو واقع الإنتاج : وهنا أيضًا لا نستطيع أن نقول بصفة أكيدة أن هذا الدافع له صفات كامنة خاصة ، وأنه لا يظهر إلا فى فترة متأخرة من نمو الطفل ، وقد لا يرى البعض فرقًا بين دافع القيام بشىء ودافع الإنتاج ، ولكن هناك اختلافًا واضحًا بينهما ، فنحن إذا لاحظنا طفلا فى عامه الثانى وآخر فى عامه الثالث وطريقة معالجتهما للرسم .. نجد أن طفل الثانية لا يهتم إلا بإمساك الفرشاة فى يده وتحريكها ويهتم كثيرا بما يضعه على الورق ، وحين يكبر هذا الطفل فإنه يبدأ يهتم بما ينتجه فى حين يقل اهتمامه بمسيرة الحركة نفسها ، إنه يريد أن يضع اسمه عليها وأن يأخذها معه إلى البيت ليطلع عليها آباءه أو أن يعلقها فى حجرته .

هذه الدوافع الحسنة هامة جدًا ، وهى أساس تعليم الطفل وتوجيهه إذا ما نحن أحسنا استعمالها ، ولكن هناك نقطة هامة فى هذا الإطار وهى كيف نستطيع أن نحفز الطفل إلى أن يتعلم .

وهناك رأى يقول : إن حفز الطفل يأتى عن طريق منحه بعض الجوائز سواء أكانت حلوى أو أى شىء آخر ، ولكن المعارضين الكثيرين لهذه النظرية يرون أن الطفل بهذه الطريقة لن يتعلم إلا إذا نحن دفعنا له ، ومن ثم فإن الطفل لن يستطيع أن يوجه نفسه لعمل شىء ما ، ولن يجد استمتاعًا فى تحقيق شىء بنفسه أو أن ينمى سيطرة داخلية على أعماله ، بل إن هذه الطريقة قد تؤتى نتائج عكسية ، فنجد أن الطفل يحاول أن يقوم بعمل خاطىء حتى يحصل على جائزة لعدم تكراره ولكنه سيكرره حتى يحصل على هذه الجائزة .

أما الرأى الثانى : فهو الذى ينادى بأن الطفل نفسه هو الذى يحصر قدراته الخاصة وقوته واهتماماته وأن الحوافز الفعالة لتعليم الطفل هى دوافعه الأساسية وليست الحوافز المادية أو العقاب . ويستطيع المدرس أن يعوض الطفل الذى ينتقص قدرات معينة ، فعلى سبيل المثال لو أن هناك طفلا يفضل النشاط الفنى ولكنه لم يتضح بعد من ناحية العلاقات الاجتماعية فإننا نستطيع أن نساعده فى التعرف على الآخرين عن طريق تنمية بعض المهارات الجماعية بطريقة تدريجية وذلك بتشجيعه على الاشتراك فى نشاط ما مع طفل واحد يتسم بالهدوء وليس بأية روح عدوانية ، ثم توسيع دائرة المشاركة لتشمل عددًا أكبر من الأطفال ، والمدرس المتدرب فى استطاعته بطريقة غير مباشرة أن يجذب الطفل إلى أية دائرة من دوائر النشاط ، ولكنه يحتاج إلى خبرة وخيال وقدرة ابتكارية .. ولا شك أن الخيال والابتكار من شأنهما أن يساعدا المدرس على تنويع طرقه ووسائله ، بحيث لا يضع نشاطات محددة لكل الأطفال بطريقة واحدة ، وهذا معناه أن المدرس لا يبدأ ببعض الأشكال أو الأفكار المسبقة ، وإنما يترك لخياله طريقة معالجة كل طفل بالطريقة التى يميل إليها .

إذن عملية التعليم كما قلنا تبدأ بنوع من الاستكشاف لقدرات الأطفال وقوتهم ومدى نضجهم ، وفى ضوء تقدير هذه الجوانب يمكن للمدرس أن يضع خطته التعليمية وبنيان هذه الخطة . ونحن

حين نتحدث عن بنيان الخطة أو البرنامج فنحن نعنى ثلاثة أشياء .. نوع الجدول اليومى ، ومدى حرية الطفل فى اختيار نواحي النشاط الذى يريد أن يقوم به ، والحدود التى توضع على الأطفال .

وفى بادئ الأمر كان اتجاه التربيويين هو وضع برنامج محدد فيه يتماسك البنيان بكل نواحيه ، سواء من ناحية المضمون أو الشكل أو الوسائل والمعدات التى تستغل مع وضع قواعد ثابتة لما يجب أن يفعله الأطفال وما لا يجب أن يفعلوه .. وفى جانب آخر هناك برنامج بدون بنيان يعطى للطفل أقصى حرية فى متى وأين وكيف يستعمل نشاطه ومعداته . وكلتا الطريقتين لا ترضى الكثير من المدربين والآباء .

إن الأطفال ليسوا مجرد متلقين سلبيين للمعرفة يمكن تشكيلهم كالطين عن طريق القوى البيئية التى تحيط بهم ، فالأطفال يؤثرون بصفة مستمرة فى بيئتهم ويفيدونها بطرق مختلفة ، وفى نفس الوقت يجمعون التجارب ويشرحون هذه التجارب حسب مستوى فهمهم ، وقد يعطى نفس الحدث معان مختلفة إلى الأطفال حسب مستويات نموهم أو الأطفال الذين على نفس المستوى وإن اختلفوا فى تجارب حياتهم ، وقد ثبت فى هذه الحال أن الأطفال يتعلمون عن طريق مراقبة الآخرين ، ومن ثم فإن أهم الوسائل لمعرفة سلوك الآخرين هو مراقبتهم ، والأطفال يحبون المراقبة والملاحظة ومن ملاحظاتهم فى استطاعتهم أن يتعلموا ممارسة نواحى سلوكية جديدة وأن ينموا القدرة على توقع نتائج ما يقومون به .

والطفل حين يراقب عملا أو سلوكا ما فليس معنى هذا أنه سيقلده فى الحال ، بل إنه لن يفعل هذا إلا إذا اقتنع بالنموذج الذى يلاحظه وبعد أن يعرف نتائج العمل الذى يلاحظه ، وكانت ظروف الطفل مشابهة لظروف النموذج الذى يلاحظه وأخيرًا إذا كان النشاط الذى يلاحظه فى مستوى إمكاناته .

والآباء والمدرسون فى استطاعتهم أن يكونوا نماذج للأطفال ، إذ من المعروف أن الطفل يقلد من يعرفه ويحبه ، كما أنه ثبت بالتجربة أن تقليد المثل من الأمور التى تحدث ، فالطفل يقلد الطفل الآخر ، والطفل يتعلم أيضًا من نتائج سلوكه .. وقد أثبت علماء النفس أن نتائج سلوك ما يؤثر على السلوك الذى يليه وهم يطلقون على النتائج التى يؤدى إلى استعادة سلوك ما بأنها مساعدات إيجابية فى حين يطلقون على النتائج التى تمنع هذا السلوك مرة أخرى بأنها فى صورة عقاب .

والنتائج تؤثر على سلوك الطفل بطريقتين :

الأولى : أنها تعلم الطفل أن ما يفعله خطأ أو صواب ، ومن ثم فإن رد الفعل أو رجع الصدى مهم فى عملية التعليم ، وهو مهم جدًّا إذا جاء مباشرة بعد سلوك الطفل سلوكا معينا ، فالأطفال ينسون بسرعة ما يفعلونه وهم دائما فى حاجة لأن يعرفوا إذا كان ما فعلوه خطأ أو صوابًا قبل أن ينسوا ما فعلوه .

أما الطريقة الثانية للنتائج : فهى أنها تثير الطفل وتدفعه إلى ممارسة عمل ما أو عدم ممارسته ، وكثيرًا ما نجد أن حدثًا واحدًا

يوفر رد فعل بخصوص خطأ أو صواب عمل ما ، وفى نفس الوقت يعطى تجربة سارة أو غير سارة تؤثر على رغبة الطفل فى تكرار ما فصله فى المستقبل ، فإذا قال الأب أو الأم « هذا حسن » لطفل بعد عمل ما فإن هذه الجملة من شأنها أن تعطى الطفل المعلومات الكافية حول سلوكه وفى نفس الوقت تجعل الطفل يشعر بالفخر لأنه نال هذا المديح .. ولكن لا يجب أن ننسى هنا أن تأثير أى حدث على الطفل يتوقف على شرح الطفل للحدث ، والطفل الذى لا يحب مدرسًا ما مثلا يتفادى دائما أن يقوم بأى عمل من شأنه أن يرضى المدرس .

الطفل والدراما

الدراما : هي إحدى الفنون التي يستطيع الطفل عن طريق ممارستها أن ينمو ويكبر ، والغرض منها ليس تدريب الطفل لكي يصبح ممثلا تماما ، كما أن الغرض من ممارسة الطفل للرسم ليس لكي يصبح فنانا تشكيليًا ، وعن طريق الدراما يمكن تدريب الطفل على أن يرى وأن ينظر ، وأن يسمع وأن يلاحظ ما حوله بمعرفة وخيال ، وأن يراقب ويربط ويرتبط . والغرض من الدراما هو تنمية قوة الملاحظة لدى الطفل ثم تحويل ملاحظاته المتراكمة إلى تعبير لغوى .

والدراما تقوِّى فى الطفل عملية الخَلْق ، والخَلْقُ يعنى عمل شيء جديد ، وأساس الدراما هو الاتصال بين البشر لأن الاتصال من شأنه أن يؤدى إلى تعميق العلاقات الإنسانية وتقويتها . والدراما بمفهومها الشامل الذى يغطى الرقص والموسيقى والحركة هى الفن الوحيد الذى يستعمل الطفل فيه كل جسمه [الروح والعقل والأحاسيس والصمت والإيماء] .

ودراما الطفل ليست بالشيء الجديد ، فهى ترجع إلى أربعمائة عام ، ولكنها فى السنوات الأخيرة بدأت تأخذ أهمية خاصة ، وبالذات ما يطلق عليه اسم الدراما الخلاَّقة ، وهى منتشرة إلى أقصى حد فى إنجلترا وأمريكا ولكنها لا تزال متعثرة فى مصر . وإنى أذكر

حين كنت رئيسًا للمكتب الاستشارى لثقافة الطفل التقيتُ بأحد المتخصصين فى دراما الطفل وأقمنا ورشة فى مدرسة الجزيرة الإعدادية فى الزمالك ومع الأسف لم يهتم بها أحد .

إن حياة الطفل تبدأ بالدراما وأول خطوة هى اللعب وقد تحدثت عنه من قبل .. وعادة ما تكون الدراما محاولة الطفل لخلق عالم الكبار والارتباط بشخص يحبه وهي نمو طبيعى للإنسان ومن ثم فإن تجربة الأطفال فى الدراما يجب أن تتم بطريقة طبيعية .

ويمكن تقسيم الدراما إلى أربعة فروع : اللعب ، والحركة ، والمايم ، والتمثيل التلقائى ، وأخيرًا المسرحيات التى يكتبها الأطفال أنفسهم ، وهذا التقسيم لمجرد السهولة ، إذ الواقع أن الدراما هى كيان واحد ، وجميع أشكالها تعد حلقات فى سلسلة واحدة ، فالحركة والمايم استعدادات أساسية لمادة الدراما التلقائية والمسرحيات المكتوبة . وقد أصبح اللعب الآن فى أشكاله المختلفة هو أساس الحياة فى مدارس الحضانة ورياض الأطفال . والطفل يحب اللعب دائمًا للتخلص من الطاقة الكامنة فى داخله ، وكذلك للتخلص من مشاكله العاطفية . ومن الملاحظ أن الطفل يحب أن يتقمص شخصيات الكبار كالآباء والأمهات والمدرسين والأطباء ، إذ من أقوى طموحات الطفل أن يصبح بالغًا وأن يمارس سلطة الكبار ومعظم ألعاب الأطفال إنما تعكس حياة الكبار وعن طريق التقليد يمكنهم التعليم .

وقد بدأتُ تجربة الدراما قبل أن أطبقها مع حفيدتى ، فى عام ١٩٦٧ حيث كنت مسئولا عن المكتب الاستشارى لثقافة الطفل

كنت أنظم زيارات لبعض مكتبات الأطفال ومعى بعض القائمين ببرامج الأطفال فى الإذاعة ، وكانت الفكرة هى أن تقص المقدمة أو المقدم القصة ثم يقوم الأطفال بتمثيلها وقد نجحت تلك التجربة نجاحًا كبيرًا .

أما مع حفيدتي فقد بدأتُ حين كنتُ أقص عليها بعض القصص العالمي ، وكنت أطلب منها تمثيل بعض شخصيات القصص ، ثم اقترحتْ هى على أن تدعو بعض أصدقائها ممن يسكنون العمارة ، وكان عمرها آنذاك يقترب من الخامسة ، ووافقتُ ووجدتُ نفسى فجأة مكلفًا بتسلية ثمانية أطفال فى نفس السن تقريبًا ، وبدأتُ معهم سلسلة من الحكايات كانوا يمثلون شخصياتها بطريقة تلقائية .

وفى هذا الإطار أود أن أهمس شيئًا فى آذان الجدود : لماذا لا تقومون بدور مشابه فى حياة أحفادكم وأولاد الآخرين ، فالجد الذى يحال إلى المعاش يبدأ فى الذهاب إلى قهوة النشاط « على رأى صلاح جاهين » لقضاء الوقت أو بمعنى آخر لتضييعه . لماذا لا يبدأون ، كما فعلت أنا بحكاية الحكايات لأحفادهم وأصدقائهم . بل إنى أذهب أبعد من ذلك وأقترح بتجنيد الجدود المحالين إلى المعاش وخاصة من كانوا يعملون فى التعليم بتوزيعهم على المكتبات وقصور الثقافة ليحكوا حكايات للأطفال .

والجد له مكانة خاصة لدى الطفل كما أن للطفل مكانة خاصة لدى الجد ولديه من الوقت أكثر من الوالدين ومعظمهم يعملون ،

فهو يستطيع أن يشرف على أحفاده ، يأخذهم إلى المدرسة ويعود بهم إلى البيت ويبقى معهم لحين عودة الأبوين من العمل ، ويحكى لهم حكايات قبل النوم ، هذا طبعًا إذا كان يسكن قريبًا منهم . بل لعل لهذه فائدة أخرى . فهناك العديد من كبار السن يعيشون بمفردهم بعد فقدانهم لشريكات حياتهم ، وهذا العمل من شأنه أن يملأ حياتهم وينقذهم من الوحدة القاتلة .

بدأتُ حكاياتى مع أطفال العمارة ، ثم بدأت بعد ذلك فى تطبيق بعض ما كنتُ قد شاهدته فى لندن فى مجال الدراما الخلاقة للطفل ، فقد كنتُ قد دعيتُ من جانب المجلس البريطاني حين كنت مسئولا عن ثقافة الطفل لزيارة لندن ، وهناك شاهدت ممارسة هذه الدراما سواء فى مسرح Unicorn أو فرقة بريان واى المتنقلة Brian Way .

ولعل من الضرورى أن أشرح مفهوم دراما الطفل ، فالدراما للطفل ليست مسرح الطفل ، إنها نشاط خلاق يعطى للطفل الفرصة للتعبير عن آرائه وعن طريقة هذا التعبير ليعرف أهمية هذه الآراء ، المسرح هو فن العرض ويعتمد على بعض المبالغات سواء فى الصوت أو الحركة ، وهو يملى بعض التعقيدات على الممثل مما يجعله نوعًا من الإنسان الآلى يحركه المخرج كما يشاء ، وهو الذى يرسم له خطواته على خشبة المسرح وانتقاله من مكان إلى مكان ، بل هو الذى يقرر طبقات وأحجام الصوت الذى يستعمله .

أما فى دراما الطفل فإن تعقيدات المسرح ملغاة ، فالطفل حر فى حركته وتفكيره وفى التعبير عن هذه الأفكار وفى الوصول إلى نتائجه

الخاصة . إن دراما الطفل تعطيه الفرصة للتعامل مع نفسه ومع بيئته ومع الآخرين . وفى مجتمعنا نجد أن الكبار هم الذين يسيطرون على حياة الأطفال ومصائرهم والطفل يعتمد اعتمادًا تاما على قرارات الكبار . ومن ثم فهو فى حاجة ملحة للسحر والاختراع ليقدر على فهم ما يحيط به . وسيطرة الكبار كثيرًا ما تساعد على تحطيم حياة الأطفال . وأعطى مثالا لذلك : حين يكون الطفل لنفسه مجموعة من الأصدقاء فى جو معين ، فيلعب معهم ويرتبط بهم وفجأة ينتقل الأب إلى حى آخر أو بلد آخر فينهار عالم طفله أو أطفاله ، وقد حدث ذلك فى حالة حفيدتى حين نقل أبيها إلى لندن فتركت أصدقاءها فى القاهرة وتركت النادى الذى كانت تذهب إليه معهم .. حقيقة أنها كونت فى لندن مجموعة جديدة من الأصدقاء ولكن بعد فترة من الوحدة والقلق .. ثم صدر قرار بنقل أبيها مرة أخرى إلى أمريكا وتحطم عالمها مرة أخرى .

ولكى يعوض الطفل ما فقده فإنه يخترع لنفسه عالما خاصًّا به إلى أن يستطيع أن يكيف نفسه مع الوضع الجديد . وقد يكون عالم الطفل السحرى يفرض الهروب من التقاليد والمتطلبات التى يمليها عليه الكبار والتى لا يستطيع أن يقاومها ، فنراه حين يخاف من المدرسة يدعى المرض لكى يبقى فى البيت ودور الدراما هى مساعدة الطفل على الاختراع والتخيل وذلك عن طريق تمثيل المدرسة بمدرسيها وتلاميذها حتى نبعد من ذهنه الخوف ..

وعن طريق الدراما يتعلم الطفل كيف ينمو وكيف يتعامل مع الحياة .. إن فى استطاعته أن يستكشف مواقف معينة ولا يخاف

منها ، وبعد أن يتم للطفل اكتشاف ما حوله وتقبله لذلك العالم الذى يعيش فيه فإنه يبدأ فى اكتشاف مواقف معينة ، وفى تجربة الحرية التى يتمتع بها الكبار وفى السيطرة على الأحداث ، وهو يفعل ذلك عن طريق الدراما والتخيل فإذا تطلع إلى الحصول على دراجة مثلا فإننا نراه يلعب دور الأب ويشترى لنفسه دراجة فى خياله .

والدراما تساعد الطفل على اتخاذ قراراته بنفسه ، وقد يتخذ قرارات خاطئة ، وهنا يأتى دور الوالدين أو الجد ثم بعد ذلك المدرسة أو المدرس وذلك فى توجيه دراما الطفل فى نواحى مفيدة ، فمثلا لعبة « آباء وأمهات » أو « الستات » كما كنا نسميها حين كنا أطفالا يمكن توجيهها لتكون فرصة لاتخاذ قرارات بدلا من أن تكون مجرد لعبة بلا هدف .

ولدراما الطفل فوائد عديدة أذكر بعضها : فهى تساعد الطفل على التعبير عن نفسه ، ونحن نعرف أن الطفل منذ ولادته يمر بعملية جمع حقائق ومعلومات وانطباعات عن نفسه وعن العالم الذى حوله ، وعن طريق التعبير عنها يحس به تجاه هذه الحقائق والمعلومات والانطباعات يستطيع الطفل أن يعملها ، ومن ثم يربطها بالحياة فتصبح لها معنى . وعن طريق الدراما يستطيع الطفل أن يعبر عن أحاسيسه تجاه أشياء عديدة وعن طريق توجيهات الوالدين أو الجد يكيف هذه الأحاسيس نحو الطريق السليم .

والطفل الآن يقضى وقتا طويلا فى مشاهدة التليفزيون ، وفى الفصل حيث ينصت إلى المدرس ، ومن ثم فهو فى خطر فقدان

القدرة على التعبير عن نفسه عن طريق اللعب العادى ، وهذا أحد أدوار الدراما .. فهى تساعده على التغلب على هذه الخطورة .

والدراما تقوى الخيال لدى الطفل ، والخيال هو القدرة على بناء مواقف « فانتازيا » فى الذهن ، ولكن للخيال مهمة أخرى أكثر واقعية ، فعن طريقه يمكن للطفل إعادة تنظيم تجاربه والصور المتراكمة فى ذهنه وتحويلها إلى آراء جديدة بحيث يمكنه مثلا بعد رؤية صور للهند وللندن أن يتخيل رحلة جميلة بالطائرة إلى أى أو كل من البلدين .

والدراما هى الحركة وعن طريق الحركة يتعلم الطفل كيف يسيطر على جسمه وكيف يتعلم استعمال المكان ومشاركته مع الآخرين ويعرف أن لهم نفس الحق الذى له فى المكان ونفس حرية الحركة فيه وأن يحترم هذا الحق . ففى مكان مزدحم مثلا يجب أن يعرف كيف يسيطر على حركته ليعطى الفرصة للآخرين ، والدراما تساعده على ذلك وعلى التعرف على طرق التحرك وهذا من شأنه تنمية ثقته فى نفسه .

والدراما تدرب الطفل على الحديث وهو أكثر وسائل الاتصال فعالية ، ولكن يجب أن يتعلم كيف يوصل الحديث إلى الآخرين وكيف يعطى للكلمات تأثيرات حقيقية عن طريق نطقها الواضح القوى وكيف يعظم آراءه . وعن طريق الدراما يتعلم الطفل كيف يتعايش وكيف يختلط بالآخرين .

وكنت ألاحظ حفيدتى وأصدقاءها وهم يؤدون الحركات الدرامية التى كنت أشرحها لهم وفى نفس الوقت كنت أتركهم يختارون

الأدوار التى يريدونها وأراقبهم عن بعد وألاحظ مثلا أن حفيدتى وحتى بعد سن الخامسة كانت تريد أن تتقمص شخصيات مختلفة وكان أحب الأدوار إلى نفسها هى الأدوار المرتبطة بالأسفار ، ولعل سفرها الدائم من إنجلترا إلى مصر والعودة أثناء الإجازات هو الذى أعطاها أو أملى عليها تلك الأدوار .. كانت تلعب دور المضيفة الأرضية وهى تقطع لى (فأنا المسافر الوحيد) تذكرة الطائرة ، ثم تتحول إلى مضيفة أخرى فى المطار تزن حقائبى وتسألنى هل أريد مقعدًا للتدخين أو غير التدخين ، ثم تقوم بدور المضيفة الجوية وهى تقدم لى الطعام والشراب على متن الطائرة .. وكانت تقوم بكل هذه الأدوار بطريقة طبيعية تقلد فيها تماما الأدوار المختلفة .

ومن الألعاب التى كانت تغواها العرائس » وكانت لديها مجموعة من عرائس القفاز ، فكانت تقيم مسرحًا مثل خشبة الأراجوز ومن خلفها تحرك العرائس بطريقة رائعة وتقدم معها دراما من تأليفها .

الطفل والقراءة

حب الطفل للقراءة يعتمد اعتمادًا يكاد يكون تاما على حب والديه ومن حوله للقراءة ، فإذا نما الطفل فى بيت به مكتبة وشاهد أبويه يقرآن ولمًّا كان للطفل رغبة دائمة للتقليد فهو يبدأ فى التعامل مع الكتاب . وقد جاءت حفيدتى لتجد أن أباها من القراء النهمين ووجدت حولها مكتبة رائعة بها المعاجم الإنجليزية والأمريكية والمصرية وكتب الأدب والتاريخ والقصص . فغرس ذلك فى نفسها حب القراءة وبدأت من سن مبكرة تقرأ .

ونحن نعرف أن هناك آراء متعددة حول القراءة ، فهناك من يعارض بدء القراءة مبكرا ولست هنا بصدد مناقشة الآراء المختلفة ، المهم هو إعداد الطفل للقراءة والتعليم ، وهذا الإعداد يعتمد على شيئين :

أولا : قدرة الطفل على ملاحظة الإيثار والتفرقة بينها .

وثانيا : شعوره حول نفسه والعالم المحيط به .

وهذا يحدث قبل ذهاب الطفل إلى المدرسة أو حتى الحضانة .

ويقول أحد العلماء فى مناقشته لعملية القراءة : إن الطفل فى سنواته الأولى يهتم بالمعمل وليس بالمكتبة ، بمعنى أنه يريد أن يجرب كل شيء بنفسه سواء بالنظر أو اللمس أو الإحساس أو الشم أو

المذاق . ومن المعروف أن التعليم يبدأ فى البيت ، بل إن البيت يمكن أن يحل محل الحضانة ، ونجاح الطفل فى المدرسة يعتمد على مدى إعداده لها فى المنزل .

وهناك آراء عديدة حول نوعية قراءات الأطفال سواء قرءوا هم أو قرأ لهم أحد الكبار .. فقد ظهرت نغمة جديدة تقول : إن حكايات الأطفال ما هى إلا أكاذيب يقتنع بها الطفل ، وأن أشهر القصص تعد من أكبر الأكاذيب ، فنرى مثلا أن قصة (بيتربان Peter Pan) المشهورة أو (أليس فى بلاد الأعاجيب) من أكبر الأكاذيب فى أدب الأطفال ، فهى مليئة بأطفال فى استطاعتهم الطيران وبها جنيات ومغامرات بعيدة عن الواقع .

وقصة بيتربان بالذات لها الآن أكثر من خمسين عاما وطبع منها مئات الطبعات ولا يزال ريعها الكبير يقدم إلى مستشفى جريت أور موند للأطفال حسب وصية مؤلفها ج . م بارى . وهذه ظاهرة تستحق التقدير من جانب كتاب الأطفال الإنجليز ، فهم يكتفون بقبض مكافأة الطبعة الأولى ثم يحولون دخل الطبعات الأخرى إلى مستشفى الأطفال .

ويقول الذين يعترضون على قصص الخيال : إنها تعود الطفل على الكذب ، ويطلقون على هذا النوع من الكتب « الخدعة الكبرى » ويقول أحد هؤلاء المعترضين كيف يطالب الطفل بالأمانة والصدق ونحن نشجعهم على الاعتقاد فى الجنيات والخوارق .. ومن جانب آخر فالطفل قد يتعجب ويتساءل لماذا نعاقبه حين يكذب بينما نشجعه على قبول قصص خيالية ، هى أكاذيب كبيرة .

وقد وجدت البحوث أن الأطفال يحبون الكتب التى يستطيعون تمثيلها بعد قراءتها ، وكنتُ أجلس وأراقب حفيدتى وهى تقرأ ، كانت تجلس فى ركن مفضل عندها وفى مقعد خاص وتسبح فى عالم آخر ، عالم يحتضنها تماما ، فلا نكاد نشعر بها ولا هى تشعر بنا . وهذا دليل على نجاح القصة وهو أن يستحوذ المؤلف على الاهتمام الكامل للطفل وأن تستطيع القصة أن تجعله شاهد عيان لأحداثها .

وكتب الأطفال لها وجهان ، الكتابة والقراءة ، بمعنى أننا نريد الكتاب الذين يؤلفون وفى نفس الوقت القراء الذين يقرأون وهذه مهمة شاقة فى مصر ، فمن الصعب العثور على كتاب للأطفال ومن الأصعب إيجاد أو خلق جمهور القراء .

وفى الأسئلة التى توجه أيضًا فى إطار الطفل والقراءة هو : « من يختار كتاب الطفل ، الأب أو الأم أو الطفل نفسه » ؟ ، والواقع أنه حتى سن معين لا يستطيع الطفل أن يختار كتابًا بسبب الهوة الواسعة بين محصوله اللغوى المقروء والمرئى أو المسموع ، فهناك تفاوت كبير بين الاثنين مما يصعب على الطفل اختيار لذاته .

وهناك من يطالب بإيجاد رقابة على كتب الأطفال كما هو الحال فى فرنسا ، ولكن هناك من يعارضون ذلك وهم يرون أن الضرر الحقيقى هو تنمية ذوق ردىء فى الطفل وغرس قيم غير حقيقية ولكن فى نفس الوقت لا يجب أن نعطيهم كتبا جادة طوال الوقت بل يجب أن نعطيهم كما يقول ريتشارد أوامر مؤلف رواية « غرق السفينة المائية » بعض الكتب الهايفة من وقت لآخر .

الفكرة إذن هى تعويد الطفل على القراءة ، على الإمساك بالكتاب والإحساس بقيمته وبعد ذلك تأتى مرحلة الاختيار ، ولذلك فقد كنت دائما أعارض من يرون ضررًا بالغًا فى قراءة الطفل لكتب غير ذات قيمة ثقافية . لأنى أرى أن حب القراءة يأتى على مراحل آخرها عملية الاختيار وأول خطوة فى خلق هذه الروح هى حكاية القصص ، أولا شفهيا ثم بعد ذلك يمكن مصاحبة القصص بالكتاب وما به من صور تشرح القصة .. ومن أكثر برامج الأطفال نجاحًا فى التليفزيون البريطانى ذلك الذى يقدم القصص عن طريق الكتب ، فنجد مقدم البرنامج يبدأ فى قصته ثم تستعمل صور الكتاب فى شرح القصة .

ويقودنى هذا إلى برامج الأطفال وما يجب أن تكون عليه ، وقد وجدت بالتجربة مع حفيدتى أن مشاهدتها لبرامج الكبار أكثر من برامج الأطفال ، وقد اختلف هذا حين سافرت إلى لندن مع والدها الذى تولى منصبا هناك . وكنت أداوم زيارتهم وأتابع نمو حفيدتى . وقد وجدت أنها بعكس ما كان يحدث فى مصر ، تشاهد برامج الأطفال ولا تكاد تجد وقتًا لبرامج الكبار . وبدأت أشاهد معها ما يقدم للطفل هناك ، ولعل من الأوفق أن أقدم بعض مقتطفات من البرامج العديدة التى تقدم له وخاصة فى الإذاعة البريطانية BBC ..

لقد بدأ اهتمام الإذاعة البريطانية ببرامج الأطفال منذ البداية ، ومما يذكر عنها أن أول برامجها المنتظمة كانت النشرة الجوية وبرامج الأطفال . وقد وصف رئيس الإذاعة البريطانية هذه البرامج فى عام ١٩٢٣ على أنها بديل سعيد لفقر الشوارع والأحواش الخلفية / وبدأت

الإذاعة البريطانية قبل ظهور التليفزيون برنامج « ساعة الأطفال » وكان ناجحًا إلى أقصى درجة ، وحين ذهبت إلى لندن للعمل ملحقًا ثقافيًا كنت أنصت مع ابنى إلى ذلك البرنامج الممتاز ، وكان إحدى وسائل تثقيف ابنى ، ولكن فى زياراتى له وهو يعمل فى لندن كان التليفزيون قد حل محل الإذاعة المسموعة .

والسؤال الذى يوجه دائما هو : هل فى ضوء التقدم التكنولوجى وظهور الكومبيوتر وغيره من الاختراعات الحديثة التى تعلم الطفل كيف يستعملها ، هل فى ضوء هذا لا تزال توجد حاجة إلى برامج خاصة بالأطفال فى الوقت الذى فى استطاعتهم اختيار قناة أو أكثر من العديد من القنوات الإذاعية والتليفزيونية ؟ ، وفى إنجلترا يوجد بالإضافة إلى ذلك محطات خاصة بالكابلات بالإضافة إلى الفيديو كاسيت وأسطوانات الفيديو .

لقد أظهرت البحوث فى إنجلترا أهمية برامج الأطفال ، وأن أطفال إنجلترا وعددهم ما بين الرابعة والخامسة عشرة سنة يزيدون على ٩ ملايين ، يداومون على مشاهدة برامجهم . وهناك أسباب لذلك لعل أهمها مستوى البرامج الذى لا يهزأ بعقلية طفل اليوم ، وأيضا التنسيق الموجود بين التليفزيون والمدرسة ، بحيث تصبح مشاهدة بعض برامج التليفزيون جزءًا من النشاط المدرسى اليومى .

وجلست مع حفيدتى فى لندن نشاهد معًا بعض برامج الأطفال وذلك فى المساء المبكر بعد عودتها من المدرسة ، وقد وجدت أنها

وصديقاتها وأصدقاؤها الذين يسكنون فى نفس العمارة يفضلون مشاهدة البرامج الكوميدية أو أفلام المطاردة وخاصة إذا كان أبطالها من الأطفال .

وقد دفعتنى هذه المشاهدة المشتركة مع حفيدتى وأصدقائها إلى محاولة معرفة سياسة برامج الأطفال فى إنجلترا وخاصة بالإذاعة البريطانية وقد خرجت بحقائق وتفصيلات هامة .

هناك إدارة خاصة بأفلام الأطفال وهى مسئولة عن ألف ساعة من العروض التليفزيونية منها ٥٠٪ من البرامج الجديدة و ٢٥٪ برامج معادة و ٢٥٪ برامج تم شراؤها . إن إنتاج برامج الأطفال فى الإذاعة البريطانية يشكل ٧٥٪ من برامج الأطفال وتبلغ ميزانيته السنوية ٣٠ مليون جنيه إسترلينى ، أى ٦٪ ، وأن متوسط تكاليف الساعة الواحدة من برامج الأطفال هو ٦٥,٠٠٠ جنيه إسترلينى ، وهو يقارن بتكاليف أية ساعة من برامج التليفزيون وهى ٧٣,٠٠٠ . وتتكون إدارة برامج الأطفال من حوالى ١٢٠ موظفا منهم ٤٠ مخرجا .

وكل يوم من الاثنين إلى الجمعة تقدم برامج فى كتلة واحدة فى BBC تمتد من ٥٠ :٣ إلى ٣٥ :٥ وأن الغرض هو تقديم خلال هذه الفترة خدمة تليفزيونية كاملة مهيئة لاحتياجات الأطفال من سن ٣ إلى ١٣ . ومن المهم أن نعرف أن هذه الخدمة التى تنتمى فعلا إلى هذا الجمهور ليست مجرد سلسلة من البرامج التى يعتقد الكبار أنها ستفيد الصغار . ولهذا فإنها تنتج البرامج الخاصة بهم وهى الدراما والشئون الجارية والأخبار وكوميديا المواقف والترفيه الحقيقى والتاريخ

الطبيعى والبرامج الموسيقية والتى تنتج على نفس مستوى برامج التليفزيون الأخرى ، كما أن الميزانيات سواء النقدية أو المصادر يجب أن تكون مشابهة للكبار . والحقيقة أن هذا ضرورى لأن الأطفال ينتظرون أن تكون برامجهم التى يشاهدونها قبل الساعة ٣٥ :٥ لا تقل طريقة وإتقانًا عن البرامج التى يشاعدونها بعد هذا الوقت ،. (أى برامج الكبار) ومن أهم البرامج التى تقدم برامج صغار الأطفال أو ما قبل المدرسة . وهى تدوم ٣٥ دقيقة كل يوم من الاثنين إلى الجمعة ، وتتكون من سلستين « أيام اللعب » و « سى سو » ، أيام اللعب مدتها عشرون دقيقة تقدم خمسة أيام فى الأسبوع الساعة ٣٠ :١٠ صباحًا على BBC وهى تقدم إلى الأطفال من ٣ – ٦ وهو برنامج ينتمى إلى أطفال هذه المرحلة ويقدم لهم التسلية على مستواهم . والبرنامج يقدم شخصيات دائمة جذابة والتى يستطيع الطفل المشاهد أن يشعر بتقارب معها ، وبرنامج « يوم اللعب » هذا من إنتاج شركة مستقلة إلى برنامج سى سو See Saw فهو عنوان نوعى (عام) لعدد من البرامج التى تعرض على BBC فى الساعة ٢٥ :١ وبعض هذه البرامج مثل « ما الذى فى داخلى والفطيرة فى السماء ينتج فى أستديوهاتها بينما الـ Anima House مثل ساعى البريد بات ويرثا وبيت بيتى تقدم من شركات إنتاج مستقلة ..

وهناك بالإضافة إلى ذلك بعض برامج الأطفال من ٤ – ٧ سنوات ، وهى تعرض فى ٥٥ :٣ كل فترة بعد الظهر وتغطى موضوعات متباينة وأساليب مختلفة . ومن أحدث هذه البرامج « أركان Corners »

والتى ترمى إلى تشجيع حب الاستطلاع الطبيعى فى الأطفال والمشاركة وإجابة لبعض الأسئلة الفكاهية والجادة . وهناك برنامج « طريق أم أربعة وأربعين » وهى مسلسل عن الطبيعة بالإضافة إلى برنامج « التسلية » وهو يحتوى على « قطة هنرى » و « جمبو ومجموعته » و « الطائرة النفاثة » و « ميك وماك » و « روبى مدك » .

ولعله من الأوفق أن أعطى وصفًا لبعض هذه البرامج التى كان لى حظ مشاهدتها :

وقت اللعب : وهو يقدَّمُ منذ عشرين عاما ، ويقدم مزيجا غنيا فى برنامج يومى ، إن الغرض الأساسى من « وقت اللعب » هى أن تقدم إلى صغار المشاهدين برامج يومية يمكن أن تصبح جزءًا من حياتهم وتثرى تجاربهم . وقد لا يوجد شخص بالغ يشرف على الطفل ويشارك معه البرنامج بانتظام وحتى يستطيع أن يشارك بطريقة مباشرة . ولم تكن هناك أية توجيهات .. ولكن البرنامج كان يشجع على اللعب مع الألعاب Games والموسيقى الشعرية ، والقصص والأغانى والحركة والأصوات والرسم والملابس ، ويحاول هذا البرنامج أن يجعل الطفل يكتشف الأشياء ويصفها ويراقب ويسأل وينصت ويساعد . وأن يجرى تجارب مع الحياة والأشكال والأنسجة والحركة والصمت وأخيرًا أن يفكر ويتعجب ويتخيل – وقد تحول هذا البرنامج إلى برنامج آخر بنفس العنوان ، ولكنه يرمى إلى تنمية أغراض البرنامج الحالى .

الاثنين : « موقف تساؤل الطائر The Why Bird Stop » .

الثلاثاء : « وقف حوش اللعب The Play Ground Stops » :

وهى برامج تبدأ بالطفل وهو يلعب وتنتهى به وهو يلعب أيضًا ويركز كل برنامج على النشاط الجسمانى .. تقوم به مجموعة من الشخصيات لا تتغير بقيادة طائر اسمه Sticky Beak .

الأربعاء : « برنامج The Dot Stop » :

وهى برامج ترمى إلى استكشاف الموسيقى والأرقام عن طريق الألغاز والألعاب التى تحتاج إلى عد والتعرف على الأشكال .

الخميس : « The Patik Stop » :

هذا البرنامج يركز على الهواء الطلق وفى كل برنامج نجد رقصة مختلفة بدءا بملعب فى المدينة إلى جزء من أحد الشواطىء أو يختار المكان الذى يريده .

الجمعة : « The Tent Stop » :

كل برنامج يحكى قصته ويشاهد الأطفال مجموعة من ٣ أو ٤ ممثلين وممثلات ، وهم يعدون إما الملابس أو المناظر أو الـ Props والمنظر عبارة عن خيمة بالإضافة إلى أجزاء مختلفة تساعدهم على خلق مناظر القصة سواء أكانت موقف سيارات متعدد الطوابق أو قصرًا أو سفينة فضاء .

حكاية قصة : « Storytelling » :

البرنامج الأساسى هو Jactarory وقد تمَّ عامه الـ ٢٥ فى عام

١٩٩١ ، والغرض منه تقديم أحسن القصص ، سواء أكانت كلاسيكية أو حديثة أو مكتوبة خصيصا للبرنامج . ويقص هذه القصص بعض الممثلين المعروفين والمتميزين ، وإذا كان هناك داع يقدم بعض المشهورين من فنانى الجرافيك برسوم شارحة وبرغم أن هذه القصص لا تصل إلى نفس مستوى القصص الذى يحكى فى البيت ، فإنها تحل محلها للايين الأطفال الذين قد لا تتوفر لهم الظروف .

وهناك أشكال أخرى غير تقليدية لحكاية القصة . مثل ما حدث فى موليسبس التى قدمت فى ١٣ حلقة يقصها تونى روبسون (ممثل مشهور) بطريقة تلقائية نشطة بحيث يعطيها حياة خاصة .

ويقدم هذا البرنامج ما يسمى Mini-Drama (الدراما الصغيرة) وهى لصغار الأطفال – تقدم مرة كل أسبوعين فى حلقات مدة كل منها ربع ساعة . ويقدم البرنامج بعض الكتب فى صيغة دراما وسنقدم ستة كتب منها عام ١٩٩٠ .

ولم ينس البرنامج صغار الأطفال ، فهناك برنامج « مغامرات بانى » وفيه تقدم شخصية تتخيل نفسها فى مواقف مختلفة . كما قدمت سلسلة من الأنغام والأشعار التى نشرت فعلا ويقدمها طفل ومعه حقيبة فى صورة دب عروسة وكلها يتم تصويرها On Location وأحيانا ما يوجه النقد إلى التليفزيون بأنه يمنع الأطفال من القراءة ، وهنا يجب أن نقول إن برامج حكاية قصة قدمت عددًا كبيرًا من الكتب التى نشرتها هيئة الإذاعة البريطانية أو دور النشر بالإضافة

إلى أن المدارس وأمناء المكتبات يسألون دائما مقدما عن الكتب التى سيقرأها فى البرنامج لكى يوفروا عددًا كافيًا منها .

ويطلب البرنامج من الأطفال المساعدة فى كتابة القصص وذلك فى برنامج « ما هى قصتك » الذى سيقدم فى ٨ حلقات دراما حية وبعد تقديم الحدث تفتح أسلاك التليفونات للأطفال ليتصلوا بالبرنامج ويقدموا أفكارهم بخصوص نمو القصة . وحين قدم البرنامج الحلقة الأولى اتصل ٥٠ ألف طفل ، وقام فريق الإنتاج والممثلون باستعمال هذه الأفكار فى النص التليفزيونى ليذاع حيًّا فى اليوم التالى .

دراما الأطفال Children's Drama :

الـ BBC تقدم دراما على مستوى عال لا يصل إليه أى تليفزيون فى العالم ، إن عمق وحجم هذه البرامج قد صممت بحيث تواجه الاحتياجات المتغيرة وأذواق الأطفال من جميع الأعمار ومن الخلفيات الاجتماعية المتباينة ، وهى دراما توقظ فى الأطفال الحساسية والفهم ، قصص تخلص التعجب ومغامرات تثير مشاعرهم .

ويعتقد المنتجون أن الأطفال أثناء نموهم يحتاجون إلى تجارب فى خيالهم عن قصص غنية ومتباينة ، فلكى يفهموا الأخلاقيات مثلا فإنهم يحتاجون إلى معرفة الخير والشر ، ولكى يقدروا إمكانيات الروح الإنسانية وحدودها يجب أن تكون لديهم المكونات التقليدية من السحر والأشباح والجنيات ، ولكى يقدروا قيمة الحب والأمان يجب أن يتخيلوا أحيانًا عدم وجودها ، وفى تاريخها الطويل من

الإبداع قدمت الـ BBB برامج مميزة اعترف بها دوليًا والفكاهة لها نصيب أيضًا فى البرامج ، والإنتاج يحتوى على جميع أنواع الفكاهة من الأعمال المجنونة الفوضوية إلى الكوميديا الهامة مثل :

جرانج هيل Grange Hill :

مسلسل يقدم مرتين فى الأسبوع تدور أحداثه فى مدرسة مشتركة فى لندن ، وهو من أكثر البرامج شعبية يشاهده جمهور أطفال دائم يقدَّرون بـ ٨ ملايين هم ٤٠٪ من جميع أطفال بريطانيا من ٤ — ١٥ سنة ، والبرنامج يصور في استديوهات الهيئة ، ويتم اختيار الممثلين الصغار كل عام عادة من أندية مسرح الأطفال والمسرح المدرسى فى لندن ، والأطفال الذين أقل من ١٦ سنة يسمح لهم بالعمل أياما محدودة خلال العام ، ولكن غالبيتهم يقضون نصف اليوم الذى يعملون فيه فى أعمال أكاديمية أحضروها معهم من مدارسهم .

وكل مسلسل يتكون من حوالى عشرين حلقة ، ويستغرق إعداده سنتين ، وكثير من القصص من اقتراح الأطفال أنفسهم فى المدارس ، وتقدم مجموعة من ٦ من الكتاب بتحويل القصص إلى نصوص ، وبعض هؤلاء الكتاب من المدرسين السابقين ، ويقوم مستشاران فى التعليم بمراجعة النصوص ونقدها .

والغرض الأساسى من Grange Hill هى حكاية قصص مسلية ، تقع أحداثها فى إطار معروف لدى الأطفال ويمكنهم التعرف عليه . وبالإضافة إلى ذلك توجد قصص تعالج بعض المشاكل الجادة مثل

عنف الأولاد والعنصرية والتبنى ، والهوجائية ، والجرائم الصغيرة ، والتخلف الجسمانى وإدمان المخدرات .

وقد وجه بعض الكبار النقد إلى سلسلة الإدمان على أساس أن رؤية سلوك الأطفال على الشاشة يعطى مثالا سيئًا للصغار .. وفى الحقيقة أن هذا البرنامج لم يخف من تقديم قصص قوية (أحسن اختيارها) برغم أن بعض المشاهير صغار جدًا ، وأن تقديم سلوك غير مقبول على الشاشة من وقت إلى آخر يلاقى عدم الموافقة ، ولكن يُرى دائما أن الأشرار والفتوات ينالون عقابهم فى النهاية ، إن الرسالة تكون دائما فى صورة أخلاقية ايجابية .

الأخبار والشئون الجارية News And Current Affairs :

يعد التليفزيون أهم مصدر للأخبار للجماهير عامة . ويصف الأطفال برنامج NewsRound على أنه « أخبارنا » .. وقبل ظهور هذا البرنامج عام ١٩٧٢ وجد أن الأخبار الوطنية كان يشاهده ٧٪ من الأطفال فقط ويصفونه بأنه ممل . أما برنامج أخبار News Round فيشاهده ٢٥٪ من جميع الأطفال أى حوالى ٦ ملايين طفل .

ويرمى البرنامج إلى تقديم أخبار ذات أهمية خاصة للأطفال عن موضوعات نبعت من أخبار من المدارس إلى العلوم وبعض الأخبار « الهايفة » وتقدم هذه بجوار أخبار ذات أهمية قومية ودولية بطريقة سهلة ..

وتقدم للأطفال NewsRounds وهى عبارة عن تقارير يتم تصويرها

فى بريطانيا وحول العالم بالإضافة إلى News Red Spot وفيه تقدم موضوعات خاصة على سبيل المثال قدمت فيلما صور فى الصين عن الباندا .

والإنتاج تحت إشراف إدارة برامج الأطفال مع التعاون التام مع أخبار التليفزيون .

(للأطفال من سن ٤ – ١٥ سنة) Blue Peter :

مجلة للأطفال تصدر مرتين فى الأسبوع وقد أتمت فى يونيو عام ١٩٩٠ السلسلة إلى ٣١ ويشاهدها ¼ مليون مشاهد من الأطفال .. والمجلة لها شكل عام وبذلك تقدم مجالاً واسعا من الفقرات وعلى سبيل المثال قدمت المجلة برنامجا للاحتفال بعيد ميلاد قطة تظهر فى البرنامج اسمها ويللو » تبعته بفقرة عن ونستون تشرشل بمناسبة ذكراه .

ويقدم البرنامج ثلاثة من المذيعين ومعهم مجموعة من الحيوانات المستأنسة ولكنه فى الفترة الأخيرة بدأ فى تقديم فقرات تهم الكبار من الأطفال ومنها موضوعات علمية وأدبية وفقرات عن الأطفال المعوقين .

ولكى يشرك البرنامج المشاهدين من الأطفال فإنه أعد شعارًا أو شارة اسمها شارة بلوبيتر الخضراء ، وهى تمنح للأطفال الذين يرسلون خطابات حول أى موضوع مرتبط بالبيئة من الزبالة إلى إعادة تخضير الغابات ، ولهذا استعمل اللون الأخضر . يصل إلى البرنامج مئات

من الرسائل مما يبين مدى الاهتمام بشئون البيئة . وقد أصدر البرنامج كتابا بعنوان « كتاب بيتر الأخضر » فى مارس ١٩٩٠ وبه ملخصات لأحسن الكتب التى صدرت عن البيئة .

وقد قدم البرنامج فقرة فى صور نداء (Appeal) عن موضوعات مختلفة منها نداء حياة الأطفال حديثى الولادة » ونتيجة لهذا النداء جمع الأطفال أربعين مليون علبة مشروبات فارغة لتباع ويخصص إيرادها لتمويل ٥٣ وحدة خاصة برعاية الأطفال الرضّع .

ولهذه الفقرة ثلاثة أهداف :

الأول : أن يسمح لكل مشاهد أن يشارك مهما كانت خلفيته ، وللإعلان عن قضايا معينة .

والثانى : لجمع التمويل اللازم .

والهدف الثالث : هو أقلها أهمية إذ أن الغرض الحقيقى هو مشاركة الأطفال .

ويسافر مقدمو البرنامج كل عام إلى دول مختلفة لإعداد سلسلة من الأفلام عن الدول الأجنبية .. وبالإضافة إلى هذا فإن الواجب الوطنى للبرنامج هو أن يعكس الحياة فى أنحاء بريطانيا ليعرف الأطفال بلادهم .. ويقدم البرنامج مقدمون يتحدثون بلهجات محلية مختلفة حتى لا يصبح انعكاسا للمدينة فقط .

وأهم ميزة للبرنامج هو تأكيده على المستوى المرتفع للأفلام واهتمامه بالتفصيلات وبالإخراج ، وهذا جزء من العقيدة بأن ما هو أفضل يجب أن يقدم إلى المشاهدين .

التسلية الواقعية Actual Entertainment :

الغرض منها أن تعطى الأطفال فرصة التفكير وهم يشاهدون ما هو مسلى ويقدم جونى بول Jonny Ball فىٰ برنامج « فكر فى غدك » « فكر مرة أخرى » وأخيرًا « فكر فيها ثم افعلها » Think it, Doit «اعرف كيف Know How » وهو حول العلم والتكنولوجيا ، ويحتوى على التسلية والمعلومات ، وتدور أحداثه فى عالم المستقبل . وهناك برنامج اسمه Now, Then ، عن علم الآثار .

ويقدم روى كاسل Roy Castle وهو من كبار الممثلين برنامجا بعنوان « محطمو الأرقام القياسية Record Breakers عن الذين حققوا هذا فى المجالات المختلفة .

والأطفال تفتنهم الحيوانات وحياة البيئة وتقدم وحدة BBC . للتاريخ الطبيعى سلسلة خاصة بالأطفال ومنها العرض الوحشى الحقيقى Real Wild Show » وفيه يدعى الأطفال إلى الأستديو ليقابلوا حيواناتهم المفضلة وليتعرفوا على بعض الإحصاءات المثبتة والحقائق الغريبة .

وهناك برنامج يقدمه الفنان تونى هارت واسمه Hart Beat وهو تلاعب بلفظ Heart Beat (دقة قلب) وفيه يشجع الأطفال على

الاستمتاع بفن رسم الصور . ويستعمل الفنان الأشياء العادية والمواد ليشرح لهم التكنيك المختلف ويبين لهم أسرار تحويل الأفكار إلى صور . والبرنامج يرمى إلى المشاركة ويتلقى هارت كل أسبوع الآلاف من الصور يختار منها مجموعة يقدمها فى البرنامج .

وبرنامج جديد بعنوان « ما هذا الصوت What's That Noise وهو يختبر جميع أنواع التأليف الموسيقى ، وبرنامج رياضى بعنوان » حولها Move It يتحدث فيه الأطفال عن اهتماماتهم . ومن البرامج المحبوبة IpsoFacto وفيه يعمل الأطفال كمخبرين صحفيين يعالجون موضوعات خاصة بالمدرسة والأسرة .

التسليـة الخفيفة Light Entertainment :

حين يعود الأطفال إلى منازلهم بعد يوم مدرسى شاق ، فإنهم يستحقون ضحكة وفرصة للاسترخاء ، ومن ثم يقدم لهم مزيجًا من الألغاز والبرامج الكوميدية . ولما كان هناك إحياء للاهتمام بالسينما بالإضافة إلى سهولة الحصول على الأفلام فى البيت بسبب انتشار الفيديو فإن برنامج « لعبة الأفلام The Movie Game برنامج الألغاز Quiz وفيه يختبر الأطفال معرفتهم عن الموضوع ويرون قصاصات من آخر ما يكتب عن الأفلام . وهناك برامج أخرى للألغاز .

أما البرامج الكوميدية فمنها Tricky Busines وهو مسلسل عالم السحر وفيه نرى عن طريق الدراما ومغامرات فى حانوت سحر الجيل التى تستعمل كما تشاهد بعض ألعاب السحرة .

وهناك برنامج Podger & Bodger وهو مسلسل كوميدى يقدمه آندى كنجهام وعروسه بادجر ، والمسلسل تدور أحداثه فى مدرسة حيث يعمل بودجر دون أية مساعدة من بادجر .

وبرنامج آخر بعنوان The Cuack Steam ويقدمه كيث هاريس وأورفيل وتدور أحداثه فى لونابارك حيث يقدم كيث وأورفيل بعض الألعاب والدردشة وقصص المغامرات والرقص والعروض الجانبية ، وهناك أيضًا كورل القرد الذى يزيد من عنصر الفكاهة .

وبرنامج كوميدى يقدمه اثنان من الكوميديين وتدور أحداثه فى فندق يدعى Dizzy Heights حيث يعيش بصفة مستمرة نزلاء من نوع أسرة Spitting Image (وهو برنامج للكبار) .ولما كان الجو دائما سيئًا فإن بقية النزلاء يضطرون إلى عدم مغادرة الفندق ويحاولون إيجاد ما يفعلون .

البرامج المشتراة أو التى تتكلف الإذاعة بإخراجها : Commissiprice

تقدم برامج الأطفال ، تبعًا لتقاليدها تسلية من جميع أنحاء العالم وكذلك بالتعاون مع منتجين من داخل بريطانيا .

وتقدم البرامج سلاسل دراما حية من أستراليا وكذلك مسلسل جيد « لاسى » وبعض البرامج من كندا ، كما قدمت برامج من تشيكوسلوفاكيا Animation يعاد Aubbed وغيرها من Anininkan .

آخر الأسبوع والإجازات المدرسية

: Weekends and School holidays

لما كان صباح السبت يجد تقدم برامج الأطفال برنامجًا فى صورة مجلة بعنوان Muth followed Swap shoop يقدمه نويل ادموندز Noel Edmonds والغرض من البرنامج وضع التليفزيون على اتصال بالأطفال ، ومنها على سبيل المثال إعطاء الأطفال الفرصة لتوجيه أسئلة عن طريق التليفون إلى ضيوف بدءا بوزير التعليم إلى أشهر فنان Pop ويلتقى البرنامج مع أكثر من ٧٥ ألف رسالة بريدية كل أسبوع ومنها يتم اختيار مادة البرنامج ، والغرض من البرنامج أن يوفر للأطفال تسلية جيدة ومشرفة بطريقة ودية ومثيرة .

وخلال الصيف تقدم برامج الأطفال فى الشمال الغربى برامج صباح السبت وقد قدمت أخيرا Waterfront .

وهو برنامج حى يقدم من مانشستر فى صورة مجلة بها الكارتون والفيديو والمسلسلات وفيه يمثل الأطفال مشكلة ما ويطلب من المتفرجين اقتراح ما يقع من أحداث .

وفى صباح الأحد فى فصل الشتاء تقدم سلسلة من القصص المعادة من الدراما ومن برامج BluePeter وهذا يعطى الأطفال الفرصة لمشاهدة ما قد يكون فاتهم من برامج .

وأثناء إجازة المدارس فى عيد الميلاد والصيف تقدم برامج إضافية فى الصباح بعنوان ، لماذا لا تغلق جهاز تليفزيونك وتذهب لتفعل

شيئا أقل مللا Why Don't you switch off your T .V . set and go
. and do something less Boring Instead

وفيه تشجيع للأطفال أن يفعلوا هذا . ويقدم البرامج الأطفال وهو يعطى أفكارا لألعاب ونشاطات أرسلها الأطفال أنفسهم من جميع أنحاء البلاد .

ملاحظات عامة

من هذا نرى أن هناك اهتماما خاصًا وجادًا بالأطفال ينعكس في ميزانياته واختياره لأحسن مقدمى البرامج والمخرجين والممثلين :

— أول ما نلاحظه بعد ذلك هو طريقة إشراك الأطفال المشاهدين في البرامج وهناك نموذج في برنامج حكاية قصة : ما هي قصتك ؟ وفيه يتصل الأطفال تليفونيا بالبرنامج ليعرفوا كيف تتطور القصة التي قدمت .

— هناك تعاون تام بين المدارس والمكتبات وبرامج الأطفال ، وينعكس هذا في الطريقة التي تسأل بها المدارس والمكتبات عن الكتب التي ستقدم في برنامج « حكاية قصة » لكي يوفروا أعدادًا منها للأطفال .

— هناك شخصيات دائمة مرتبطة بالبرامج في صورة مقدمى برامج هم من الشباب من البالغين ويعاونهم أحيانا بعض الأطفال أو العرائس .

— التركيز على أهمية الخيال وتنميته لدى الأطفال بما في ذلك الخوارق والسحر والأشباح والجنيات .

— تقديم شخصيات خيرة وأخرى شريرة لكي يقدر الأطفال قيمة ما هو خير ، وهنا يذكر التقارير أن هناك آراء متباينة حول هذا الموضوع .

– تقديم برامج لتعريف الطفل ببلاده ومدنها وأقاليمها المختلفة واستعمال لهجات محلية في تقديم بعض البرامج .

– تقديم برامج تعرف الطفل بالعالم حوله (العالم الخارجي) .

– عدم دوام الممثلين الأطفال أكثر من سنة وذلك لتفادى « النجومية » ولإعطاء الفرصة لأكبر عدد منهم فى الظهور فى برامج التليفزيون .

– التنويع الكبير فى مجلات الأطفال التى تقدم .

– استعمال Location والإقلال من البرامج التى تصور فى الأستديو .

– الاهتمام بالكوميديا والتسلية الخفيفة التى لا ترمى إلا إلى المساعدة على الاسترخاء والضحك .

وكما قلت كنت أجلس مع حفيدتى وكانت فى ذلك الوقت فى السادسة من عمرها نشاهد العديد من البرامج . وأول ما خطر لى هو هل تستطيع منة الله أن تفهم ما يقال ؟ حقيقة أن الصورة هى الغالبة فى برامج الأطفال ، ولكن هناك الحوار الأساسى الذى مهما قصر فهو فى حاجة إلى متابعة . وهذا يعتبر قضية هامة مرت على مرتين وهى قضية « الازدواج اللغوى » . كانت المرة الأولى مع ابنى حين كنت أعمل فى لندن ملحقا ثقافيا . ولقد ولد ابنى هناك واستمر عملى فى لندن لمدة اثنى عشر عاما ، أى أن ابنى عاش هناك عشر سنوات . لقد ولد فى بيئة يتحدث فيها الجميع اللغة الإنجليزية ، ولكنه فى نفس الوقت مصرى لغته هى العربية وهى اللغة التى يسمعها

في البيت . وكانت المرة الثانية مع حفيدتي وإن كنت في هذه المرة لم أكن مشاركًا مشاركة كاملة في المشكلة إذ كنت أجيء وأروح ولكنها مشكلة واجهت ابني وزوجته .

وإني أذكر بعد ولادة ابني أن أستاذي في جامعة لندن ، وكان أستاذ اللغويات ، طلب مني أن أقوم ببحث على ابني وازدواج اللغة أو ما يسمى bi-lingual ، ولكنني اعتذرت إذ شعرت مثل الجراح الذي يرفض القيام بجراحة لابنه أو زوجته . ومشكلة الازدواج اللغوي تواجه الآن العديد من الدول ولكن لعل أكثرها خطورة في الولايات المتحدة وبالذات مع العنصر الإسباني ، إذ من المعروف أن نسبة من هم من أصل إسباني مرتفعة جدًّا ، وليس هنا مجال مناقشة هذه المشكلة إلا في حدود انعكاسها على حفيدتي ومن قبلها ابني .

حقيقة أن حفيدتي كانت تذهب إلى إحدى مدارس اللغات ، وكانت في ذلك الوقت تدرس المناهج فيها باللغة الإنجليزية ، ولكنها كانت تعيش في وسط مصري خالص يتحدث أفراده فيه اللغة العربية . كان أصدقاؤها مصريين سواء في المدرسة أو في النادي أو في العمارة التي تسكن فيها ، وكنت حين أقص عليها وعلى أصدقائها الحكايات كان ذلك باللغة العربية ، ولكن في لندن كانت المشكلة مختلفة ، فهي تسكن في عمارة سكانها إما إنجليز أو أجانب يتحدثون الإنجليزية ، وهي تذهب إلى مدرسة إنجليزية تلاميذها إنجليز ومدرسوها إنجليز ولا تسمع فيها كلمة عربية واحدة .

ومن ثم كان من الطبيعي أن الاتصال ينقسم مناصفة بين لغتين الإنجليزية والعربية إذ أن والديها كانا يتحدثان معها باللغة العربية فى المنزل ، ولكن حديث البيت بالعربية لا يكفى ، فغالبية وقتها سواء فى الدراسة أو فى اللعب تقضيه فى حديث باللغة الإنجليزية . وهناك سؤال يوجه دائما وخاصة فى حالة الأطفال الأجانب الذين يولدون فى بلد أجنبى كما حدث مع ابنى ، والسؤال هو : متى يمكن البدء فى استعمال اللغة الأخرى مع الطفل ؟ ، وقد رد أساتذة علم النفس على ذلك بأن ذلك يبدأ قبل الولادة ، فإذا ما ولد الطفل ووجد اللغة الإنجليزية هى لغة الحديث والتفاهم ، فإنها ستبقى دائما لغة الأسرة ، أما إذا وجد العربية هى اللغة السارية فإن العربية ستصبح لغته الأولى .

وهناك بعض المشاكل التى تواجه هؤلاء الأطفال ذوى الازدواج اللغوى وأذكر هنا حين خرجت مع حفيدتى فى لندن إلى أحد المتنزهات الخاصة بالأطفال حيث توجد ألعاب لهم من كل الأصناف . وهناك كانت منة الله تقابل أصدقاءها من الأطفال الإنجليز الذين يتسابقون ، كمثل الأطفال عامة ، على استعمال تلك الألعاب ، وكانت حفيدتى كلما سبقها أحد الأطفال تشكو لى باللغة العربية مما أثار دهشة الأطفال الإنجليز بما هو معروف عنهم من عدم معرفة أية لغة أجنبية . وجاءنى أحدهم وسألنى : هل تفهم منة الله هذه اللغة العربية ؟ ، وهنا شعرت بهذه المشكلة ، عدم التحدث بلغة أجنبية أمام الإنجليز ، إذ يعد هذا « قلة ذوق » وقلت لحفيدتى آنذاك إنه إذا تحدثنا بالعربية ، يجب أن تشرح لأصدقائها ما تقول ..

ولا تقف المشكلة عند اللغة فقط ، ولكن تتعداها إلى الثقافة والفنون عامة . هل ستسمع حفيدتى أغانى عربية أو أغانى إنجليزية وهل ستستطيع أن تستمتع بكل فن الموسيقى العربية والأجنبية ، أم هل ستركز على ما تقدمه الإذاعات والتليفزيون الإنجليزى ؟ إن الخلفية الثقافية كلها معرضة للتغيير وإلى التكيف بالظروف والبيئة التى يعيشها الطفل . ولذلك كنّا دائما نرسل لابنى تسجيلات أغانى مصرية بل ولبعض المسرحيات المصرية وقد ساعد ذلك كثيرًا على حفاظ حفيدتى بكل من اللغة العربية والثقافة المصرية ويبدو هذا حين تأتى إلى مصر فى إجازات ، فهى تغير تغيرًا جوهريا وتصبح طفلة مصرية مائة فى المائة .

الطفل والطبيعة

من الأقوال المأثورة عن هنرى دافيد ثورو « أن الأرض ليست للاستعمال بقدر ما هى للإعجاب » ، أى أنه يجب علينا أن نستمتع بالأرض أى بالطبيعة ، ولا نفكر فقط فى استغلالها . والطبيعة هى الزهور الجميلة والطيور التى تطير برشاقة راقصات الباليه ، هى النسمة الحلوة تهب على الجبين فترطبه ، وهى الأشجار تخضر فى الربيع وتصفر فى الخريف ، إن الطبيعة تحنو علينا من وقت إلى آخر وتقسو علينا أيضًا ، تفتح أسرارها لنا إذا نحن فعلا نظرنا لها بتمعن وتزيح لنا الستار عن حياة أوسع وأغنى من مشاكل الإنسان .

وعلينا أن نقدم الطفل إلى الطبيعة أو الطبيعة للطفل ، فكيف نفعل ذلك ، كيف نغرس فى الطفل حب الطبيعة واحترامها والحفاظ عليها ، ليس فقط لأننا فى عصر ينادى فيه الجميع بحماية البيئة وإنما لأننا جزء من الطبيعة ، حياتنا مرتبطة بنبضها وبموسيقى الكون الخفية التى لا يسمعها إلا من يقترب من الطبيعة .

وليس هناك أفيد من التجربة المباشرة للمعرفة ، فقد يقرأ الطفل وصف الطبيعة فى الكتب المدرسية أو قد يسمعها من المدرس أو الوالدين ، ولكن ليس هناك ما هو أكثر فعالية من المشاهدة والتعايش . وفى الغرب هناك أسس وتدريبات وألعاب خاصة بتعريف الطفل

على الطبيعة وبمحاولة خلق نوع من المشاركة الوجدانية بينهما . يجب أن يشاهد الطفل النهر والجبل والشجرة والطيور والحيوانات ، كل ما يكون الطبيعة ، يجب أن يشاهدها ويلمسها وليس فقط يقرأ وصفها .

إن دور الأب أو الجد ، هام فى عملية التوليف بين الطفل والطبيعة ، ويجب عليه أن يشارك الطفل تجربة الطبيعة وعن طريق هذه المشاركة للأفكار والأحاسيس يمكننا أن نخلق فى الطفل حب الأرض واحترامها . وفى تعاملنا مع الطفل يجب أن تكون لدينا القدرة على التلقى بمعنى أن ننصت باهتمام لكل ما يقوله الطفل ويسأله ويشعر به ، يجب أن نجيب على كل سؤال يسأله وننصت لكل تعليق يقوله وأن نغذى فيه حب الاستطلاع ونقويه وأن نحترم أفكاره .

واستكشاف الطبيعة يأتى بالمشاركة ، فيأخذ الأب أو الجد الطفل إلى حديقة أو متنزه أو إلى الريف ، ويعيشا التجربة معًا . والطفل له القدرة على إغراق نفسه فيما يشاهده حوله وأن يصبح جزءًا منه ومن النادر أن ينسى الطفل تجربة مباشرة ، وقد كنت أحيانا أتعجب من تذكرى لبعض تجاربى حين كنت طفلا ، أى منذ أكثر من ستين عاما ، ولكن برغم مرور هذه السنوات العديدة فإن بعض تلك الأحداث لا تزال حية فى ذهنى .

ومن الأسس الهامة فى تجربة الطبيعة أن نجعل الطفل ينظر ويجرب أولا ثم يبحث ، فسواء كانت التجربة لمعرفة الزهور والأشجار أو

الطيور أو الحيوانات فلنترك الطفل يشاهد أولا ويعيش المشاهدة وبعد ذلك يمكن تولى الشرح وتلقى أسئلة الطفل .

وهنا يذكرنى كيف بدأ حب حفيدتى للطيور .. عندنا شرفة واسعة بها مجموعة من الشجيرات والزهور وأمام الشرفة عامود نور . وكانت حفيدتى تأتى إلى فى الصباح الباكر ونخرج إلى الشرفة وفى أحد الأيام شاهدنا عصفورًا صغيرًا يخرج من ثقب فى عامود النور وكان من الواضح أن العصفور أقام عشه هناك ، وأصبحت مراقبة هذا العصفور واجب يومى تراقبه وهو يخرج ويصير ثم يعود بقشة يدخلها بصعوبة فى ثقب العامود ، ثم بدأ يزيد اهتمامها فكانت تضع الحبوب فى طبق وتتركه فى الليل فى الشرفة وتأتى فى الصباح الباكر لتجد أن الحبوب اختفت ، وخطوة خطوة بدأت تنتظر العصافير وتقدم لها الحبوب بنفسها ، ثم بدأت تسأل أسئلة مختلفة عن العصافير وحين تعلمت القراءة بدأت تقرأ عن العصافير وهكذا .

وأذكر أيضًا أنها بدأت تراقب شجرة كبيرة أمام منزلنا بل إن بعض فروعها كانت تغطى سور الشرفة . وشرحت لها أن الشجرة مخلوق حى يأكل ويشرب ويتنفس وبدأنا معًا نراقب الشجرة ونمت صداقة بين حفيدتى والشجرة وعن طريق مراقبة الشجرة عرفت حفيدتى الفصول ، ففى الربيع تزدهر الشجرة وتخضر أوراقها بينما فى الخريف تصفر الأوراق وتملأ أرض الشرفة وكانت تسير فوق الأوراق الصفراء الجافة وتسمع فرقعتها تحت حذائها ، وهكذا عن طريق الشجرة عرفت الفرق بين الربيع والخريف وبين الصيف والشتاء ، وكانت

تلك التجربة المباشرة أبقى وأفيد بكثير من القراءة فى الكتب المدرسية عن تغير الفصول .

وكانت تجربة الطبيعة الأخرى فى الريف ولن أنسى حين أخذت حفيدتى إلى ضيعة أحد الأصدقاء ، وهناك وجدت منة الله نفسها فجأة بين أحضان الطبيعة : الحقول الخضراء التى تمتد على مدى البصر ، والحيوانات بجميع أنواعها من بقر وجاموس وماشية ، والطيور من دجاج وإوز وبط وغيرها من المخلوقات التى أنعم بها الله على عباده .

كان من الطبيعى أن تشعر حفيدتى بنوع من الاغتراب دفعها إلى الانطواء ، فهى لم تتعود على هذه الطبيعة المنبسطة وذلك الخلاء الذى لاحد له . كان كل ما جربته شرفة بيتى بما فيها من شجيرات قليلة ولم تعرف من الفضاء إلا فى النادى الذى كنت أصطحبها إليه كل يوم جمعة حيث الخضرة قليلة والزهور تكاد تكون معدومة والمياه التى تعرفها هى تلك التى تملأ حمام السباحة .

وحين اقترب منها بعض أبناء الفلاحين الذين يعيشون ويعملون في ضيعة صديقى نظرت إليهم بشىء من التعجب ، نظرت إلى جلاليبهم وأقدامهم الحافية ، فالجلابية بالنسبة إليها هى رداء النوم والسير بدون حذاء كانت تعاقب عليه . وتركتها وحدها مع هذه المجموعة من أطفال القرية وظللت أراقبها من بعد وسرعان ما ذاب الجليد وبدأت حفيدتى تلعب معهم وكأنما تعرفهم منذ سنين وبدأت أقارن بينها

كنموذج لطفل المدينة وبين ما نسميه الآن بطفل القرية فشعرت بالفارق الكبير بينهما .

وليس هذا الفارق فى صالح طفل المدينة كما قد يتخيل البعض ، وتذكرت قصة كنت قد حكيتها لحفيدتى عن عصفور طائر وعصفور فى القفص ، الأول يبحث عن طعامه ويطير من مكان إلى آخر وعصفور القفص مدلل يأتيه أكله ومشربه إلى القفص وينظف القفص كل يوم ، فمن منهما أسعد من الآخر .

إن طفل القرية فى رأيى ، يتمتع بما لا يتمتع طفل المدينة بجزء قليل منه ، وأنه يعيش فى أحضان الطبيعة ، تطلع عليه الشمس فنجده مستيقظًا نشطًا وليس فى حاجة إلى من يوقظه ، يذهب إلى مدرسته إن كان فى سن الدراسة ، فيسير على قدميه طويلا ليصل إليها أو يذهب إلى عمله فى الحقل إن كان قد انتهى منها ، إن عملية تثقيف طفل القرية تبدأ منذ ولادته ، يتربى مع نباتات الحقول وفاكهتها ومع صغار الحيوانات الأليفة والطيور ، يكبر معها ويلاحظ نموها وهى إن كانت بها الروح لراقبت تلك المعجزة الإلهية ، معجزة الخلق والنمو واستيعاب المعرفة .

ثقافة طفل القرية واسعة ، فهو يعرف عن بيئته كل صغيرة وكبيرة ، يعرف موسم البذور والرى ومواسم جنى المحصول ، ويعرف النباتات المختلفة وهو اسم نموها ، معرفة مباشرة وليس عن طريق كتاب أو مدرس أو أكثر من ذلك ، يشاهد فى الحيوانات سر التكاثر الذى

نحاول شرحه إلى طفل المدينة بشتى الطرق المعقدة أو بمزيج من الأكاذيب والترهات مثل وجودنا الطفل أمام باب الجامع مثلا ..

وقد جعلنى ذلك أتساءل ، حين نقول ونكتب عن العناية بطفل القرية ماذا نعنى ؟ وما الذى يحتاجه حقًا طفل القرية ؟ وما الذى نستطيع أن نقدمه إليه ؟ ولعل حفيدتى أجابت على هذه الأسئلة من قبلى وبطريقة تلقائية ، فقد وجدتها تقص عليهم قصص الأفلام التى نشاهدها فى التليفزيون أو التى نقرأها فى كتب الأطفال أو التى كنت أحكيها لها . قصص عن الحيوانات وميكى ماوس وأليس فى أرض العجائب ، وكان أطفال القرية ينظرون إليها مشدوهين وكأنها جاءت من كوكب آخر .

ثم جاء دورهم فى القيام بدور القصاص أو شاعر القرية ، سمعتهم يقصون عليها ولادة شاة صغيرة وكيف حدثت ويصفون لها كيف كبرت الصغيرة حتى أصبحت خروفًا كبيرًا وحكوا لها عن الزرع والحيوانات وأحضروا لها بعض ما صنعوه من تماثيل من الطمى وتذكرت حينها الصديق الراحل حبيب جورجى وتجربته مع أطفال القرية فى نحت التماثيل . كان التضارب واضحًا حتى فى الألعاب ، حفيدتى تصف لهم لعبها التي اشتريناها من لندن أو وشنطن وهم يعرضون عليها لعبة الحكشة أو الميسى .

وسألت نفسى من منهما أسعد من الآخر ، ولم أستطع الإجابة على هذا السؤال ، إن احتياجات طفل القرية هى احتياجات القرية

نفسها إنها احتياجات أساسية ومحددة ، الرعاية الصحية والتعليم ومياه الشرب والكهرباء وتوفير الصناعات الزراعية ، احتياجات تؤدى إلى رفع مستوى ونوعية المعيشة وذلك من شأنه أن ينعكس على الأطفال . وقد دفعتنى تجربة « منة الله فى الريف إلى الإحساس بضرورة خلق وسيلة تجمع بين طفل القرية وطفل المدينة ، بحيث يعرف كل منهما الآخر ويعرف كيف يتشاركان فى الحياة .

وقد دفعنى ذلك إلى خط آخر من التفكير وسألت نفسى سؤالا هاما : هل الجامعات الإقليمية والإذاعات المحلية ، مسموعة أم مرئية ، مفيدة حقًا ؟ أليس عن طريقها تقوى الروح المحلية ومن ثم روح العزلة ؟ ، إن أهداف تلك الخدمات والمنشآت . كما ورد فى قوانينها هى تأكيد الطابع المحلى ، وليس هناك شك فى أن كل محافظة لها طابعها ، ولها عاداتها وتقاليدها ، فكيف نصل إلى المعادلة الصعبة وهى الحفاظ على الطابع المحلى مع خلق إحساس بالانتماء لمصر ولكن هذا موضوع آخر .

وأعود الآن إلى حفيدتى . لقد أصبحت زيارة الريف بالنسبة لها من العادات المنتظمة وبدأنا معًا عملية اكتشاف جديدة ، اكتشاف للطبيعة . وقد أدى ذلك إلى نمو ثقافة حفيدتى وبدأت تهتم بالنباتات والزهور فى منزلها وفى منزلى ، وطلبت من والدها شراء بعض « قصارى » للزرع ، وكانت تروى بنفسها تلك النباتات والزهور فتعلمت تصنيعها ، طلبت كلبًا صغيرًا وبمعنى آخر بدأت ثقافة القرية تختلط بثقافة المدينة المسورة وكانت النتيجة إثراء للجانبين .

وهنا أقول للمنادين بالاهتمام بثقافة طفل القرية ، أولا حددوا مفهوم الثقافة التى تريدون تقديمها إليه ، وثانيا لا تحققوا ذلك الاهتمام فى عزلة ولا تعاملوا طفل القرية على أنه كما يقول المثل الإنجليزى يتيم العائلة ، بل اهتموا به فى الإطار العام للطفولة ولا تجعلوه يبدو وكأنه معرض لغز ثقافى من المدينة . قدموا له الخدمات الأساسية التى يحتاج إليها هو ومجتمعه ، ثم حققوا نوعًا من التبادل الثقافى مع طفل المدينة حتى لا ننظر إليه وكأنه ظاهرة عجيبة تحتاج إلى دراسة .

خاتمة

هذه كما ذكرت ، تجربة خاصة وإن كانت مزيجًا من القراءات والتعايش المباشر .. كانت عملية اكتشاف واستكشاف .. عشت فيها تجربة النمو ، ذلك الإعجاز الإلهى الذى نأخذه أحيانًا كأمر مفروغ منه . وقد أردت من هذا الكتيب أن ألفت نظر الآباء إلى ضرورة الاهتمام المباشر بأطفالهم وأهمية مراقبة نموهم ، فهم أقدر من أى شخص آخر ، مهما وصل ذلك الشخص من علم سيكولوجى ، على التعامل مع أطفالهم .

والكتيب به أيضًا رسالة إلى الجدود للمساهمة فى تربية أحفادهم ، ولا يعنى هذا تدخلا فى سياسة الوالدين وإنما فى القيام بدور خاص لا يستطيع أحد آخر القيام به .

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع	١٩٩٥/٤٠٣٦
الترقيم الدولى	ISBN 977 - 02 - 4929 - 7

١/٩٣/٦٣ طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

أطفالنا .. أكبادنا تمشى على الأرض .. لهذا فإن ما نقدمه لأطفالنا في أى مرحلة عمرية .. يمتد بظلاله ونتائجه عليهم عندما يكبرون ويشاركون فى بناء المجتمع ..

وتربية الطفل عملية مستمرة فى البيت والمدرسة والشارع والمجتمع .. ويجب ألا تتم بطريقة عشوائية .. وإنما بأسلوب مدروس .

من أجل هذا نوجه هذا الكتاب للآباء .. من خلال هذه التجربة الحية فى تربية الطفل .



دار المعارف